إبراهيم داود

الجو العام

كتاب قصصي

المحروسة

عنوان الكتاب: الجو العام

المؤلف: إبراهيم داود



قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة

ت، ف:-28432157 02 002

mahrousaeg

almahrosacenter

almahrosacenter

www.mahrousaeg.com

info@mahrousaeg.com

mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران

مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ٢٥٢٧٧/ ٢٠١٨

الترقيم الدولي: 3-753-313-977-978

كتاب قصصي

الجو العام

إبراهيم داود

طبعة المحروسة الأولى 2019



بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

داود، إبراهيم
الجو العام: كتاب قصص / إبراهيم داود
القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2019
161 ص؛ 13.5× 19.5 سم
تدمك 978-977-313-753-3
1 - القصص العربية القصيرة
أ - العنوان
813.01
رقم الإيداع 25277/ 2019

"الأسامى هى هى.. والقلوب اتغيرت"

من أغنية معروفة

توفيق

تسـتطيع أن تذهـب إلى"توفيـق" فى أى وقـت. وبإمكانـك اصطحـاب مـن تريـد، بـشرط أن يخضـع للقوانـين التـى يديـر بهـا منزلـه، والتـى يعرفهـا الجميـع، فهـو مثـلاً لا يحـب أن يقـترب أحـد مـن المطبـخ أو مـن أوراقـه الخاصـة أو شرائـط الكاسـيت أو "الفوطـة" الخـضراء المعلقـة عـلى ظهـر بـاب الحـمام، وألا تسـتخدم "الصابونـة" الخاصـة بـه، لأنـك سـتجد تحـت المـرآة ورقـة تشـير إلى أخـرى "جديـدة دائمـا" مكتـوب عليهـا بخـط فـارسى جميـل: "للضيـوف"، كل مـا عليـك أن تجلـس فى المـكان الـذى اختـاره لك ولا تقاطعـه فى الـكلام.. معظـم الذيـن يذهبـون إليـه يعرفـون بعضهـم منـذ سـنوات طويلـة، واختـصروا مسـاحات كبيرة مـن الـكلام بينهم.. يتخاصمـون كثـيراً، ويقاطـع بعضهـم المـكان فـترات طويلـة ولكنـه يعـود، "أحمـد" مثـلاً لم يذهـب إلى توفيـق منـذ 1991، آخـر ينايـر، كان يعيـش معـه بعـد عودتـه مـن العـراق، وطـرده "شر طـردة"، وظـلا متخاصمـين ويشـتمان بعضهـما فى الدوائـر، ولكنـه ذهـب إليه

يـوم جمعـة، فى ينايـر 2006، فى العـاشرة مسـاءً، نقـر عـلى البـاب بإصبعـه ثـلاث نقـرات. وعندمـا فتـح البـاب، دخـل أحمـد مسرعـاً دون أن يلتفـت للجميلـة التـى فتحـت لـه، اختـار مكانـاً اسـتراتيجياً بجـوار مقعـد السـلطان، وألقـى عـلى الجالسـين فى المـكان السـلام.. السـلام الـذى ترميـه عـلى أصدقائـك الذيـن تركتهـم قبـل خمـس سـاعات وعـدت. قـال لـه توفيـق وهـو يضـع لـه خمـس ملاعـق سـكر فى الشـاى" خمسـة وعشريـن سـنة يـا مفـترى؟!"، خمـس دقائـق عـلى الأقـل لم يتحـدث أو يتحـرك أحـد، إحسـاس غامـض خيـم عـلى المـكان، كل واحـد لـه طريقتـه فى الاختفـاء فى مثـل هـذه اللحظـات، توفيـق لم يجلـس عـلى كـرسى السـلطان الـذى يسـقى الجماهـير مـن عليـه، و بـدأ الحضـور يشـعلون سـجائر مثـل الهـواة، وهمـدت النـار فى الموقـد، أحمـد قطـع الصمـت بسـؤاله لتوفيـق "انـت نجـدت الأنتريـه إمتـى؟" لم يكـن ينتظـر إجابـة. وأضـاف وهو يضـع يـده فى جيبـه، "معايـا حاجـة حلـوة"، وأخـرج مـن جيبـه ربـع أوقيـة حشـيش ووضعهـا أمامـه، وهمـس فى أذن توفيـق - لا تعـرف لمـاذا؟ "وخصوصـاً أنـه لا يوجـد أحـد غريـب" - "بقيـت بـاشرب الشـاى تـلات معالـق وأربعـة مـن عـشرة.. "وبعديـن" خليتهـم ربـع قـرن إزاى؟" وجلـس السـلطان واشـتغل الـضرب، ولم يحـدث كلام فى أى موضـوع، وانـصرف الجميـع، وجلـس توفيـق وأحمـد فى مكانـين بالغرفـة، إذا دخـل أحـد عليهـما لـن يصـدق أن الجالسـين يعرفـان بعضهـما، يسـتمعان إلى شريـط كاسـيت لمحمـد عبـد المطلـب.. الوحيـد الـذى ينصتـان إليـه.. إذا كان بينهـما كلام.

عصام وناجى

الـكل يعلـم أنهـما عـلى خـلاف، دفـع كل واحـد منهـما إلى اسـتخدام أحـط الطـرق لاغتيـال الآخـر معنويـاً، لا أحـد يعـرف السـبب، ولم يتدخـل أحـد، ولم تتوقـف الحـرب بينهـما لمـدة خمـس سـنوات، إلى أن هاتفهـما الملـك وليـم اسـحق وشـتمهما وأمرهـما بالجلـوس معـا، وتصفيـة الخـلاف بـدون وسـطاء، وهـذا مـا حـدث، تقابـلاً أمـام مكتبـة مدبـولى فى ميـدان سـليمان باشـا يـوم 4 ينايـر 1994، الثامنـة مسـاء، وقفـا مـع الحـاج محمـد الـذى كان سـعيداً لأنهـما معـا، وشربـا قهوتـين "عـلى الواقـف"، وتحدثـا معـا كلامـاً بـارداً، ولم ينظـر أى منهـما فى عـين الآخـر، هـما صديقـان منـذ السـتينيات، وعمـلا معـا فى السياسـة، وسـجنا فى السـبعينيات معـا، عصـام أصبـح مهـما فى عملـه، كمديـر أبحـاث فى أحـد البنـوك الوطنيـة، وهـو رجـل أنيـق للغايـة، يدخـن السـيجار، قليـل الـكلام، جـاد، ولا يسـمح لأحـد بالتجـاوز معـه، ويهابـه الجرسـونات، ويكون عنيفـا مـع الذيـن يعتبرهـم يعملـون مـع النظـام، كانـت حدتـه

محببـة فى معظـم الأحيـان، لأنـه يقـوم "بمنتجـة" النـاس اللزجـة بسـهولة، وليـس مسـتعدا للجلـوس مـع شـخص فاسـد، ولا يسـمح لأحـد باغتيـاب شـخص غـير موجـود، يحـب الشـعر ويترجمـه عـن الفرنسـية التـى يجيدهـا، ويدافـع عـن السرياليـين رغـم خصومتـه القديمـة مـع التروتسـكيين، ومـن أشـد المدافعـين عـن القوميـة المصريـة، ويعتـبر نفسـه - رغـم صغـر سـنه - مـن أبنـاء ثـورة 1919، ومـع هـذا يحـب جـمال عبـد النـاصر، تـزوج مرتـين، أنجـب فتـاة مـن الأولى وولديـن مـن الثانيـة، وهـو مـن أسرة ميسـورة أصلا، ويؤمـن بالاشـتراكية فى دفـع الحسـاب آخـر الليـل، ولا يثـق فى الذين يدخنـون الحشـيش، ولكنـه لا ينكـر أن رائحتـه جميلـة ومحببـة، وعندمـا يبتسـم يصبـح جميـلا مثـل الأطفـال، هـو شـخص حزيـن بشـكل عـام، ولكنـه لا يشـكو ولا يقـول لمـاذا؟، ويحـب عـمارات وسـط البلـد ويعـرف أسرارهـا ويخـاف عليهـا بصـدق، صديقـه ناجـى لا يقـل نبـلا عنـه، ولكنـه أكـثر رحابـة، ويلتمـس الأعـذار للآخريـن، ومسرف فى محبتـه للحيـاة، لم يتـزوج ولا يريـد، ويعيـش فى شـقة واسـعة وجميلـة فى شـارع التحريـر بالدقـى، مقتنياتـه مـن الفـن التشـكيلى تكفـى معرضـاً كبـيراً ذا قيمـة، هـو معنـى بالأشـياء القديمـة، ويمتلـك مكتبـة موسـيقية فريـدة، ولـه علاقـات واسـعة بصنـاع الغنـاء فى مـصر، ويشـجع الأهلى بجنـون، ويحـب الأكل جداً، وطبـاخ ماهـر، ويعـزم أصدقـاءه - بـين الحـين والآخـر - ويتفنـن فى الطبـخ، ويكـون سـعيداً جـداً وهـو يشـاهدهم يأكلـون باسـتمتاع، هـو محـام كبـير، ناجـح ومتحقـق، يحـب مهنتـه ويكسـب منهـا، ولم يكـن أحـد يصـدق أن علاقتـه بعصـام قـد تصـل إلى مـا وصلـت إليـه، تـركا الحـاج مدبـولى ومشـيا بـدون هـدف فى الشـوارع، كان

الجو بارداً، وكانت الأمطار التى توقفت فى العاشرة قد أخلت المدينة من الناس، قرب منتصف الليل دخلا الجريون، جلسا فى الحديقة، إلى الطاولة القريبة من الباب الخلفى، جلسا أمام بعضهما، وبدأت البيرة تنهال عليهما، كان الرواد قليلين فى تلك الليلة، ثلاث أو أربع طاولات على الأكثر، بعد ساعة بدأ يسمع صوت صفعات هناك، صفعات أربكت الجميع، يقوم الواحد منهما من على كرسيه ويصفع صديقه صفعة قوية مسموعة، ثم يجلس مكانه، بعد قليل يقوم الآخر برد الصفعة بالقوة نفسها ثم يجلس مكانه، والحوار بينهما لا ينتهى، يتحدثان وهما مبتسمان، إلى أن تعود الحضور - الذى كان متوترا - على الإيقاع حتى مطلع الفجر.

مات عصام فى يوليو فى العام نفسه ولم يكن مريضاً، ولحق به صديقه بعد شهرين .

فهمى

يعتبر فهمى شقة جزيرة بدران خزانة عمره، يذهب إليها بمفرده كل أحد، يفتح شبابيكها ويتأكد من صلاحية أشرطة الكاسيت، ويشاهد ألبوم الصور ويفرد جسده قليلاً، الشقة فى الدور الرابع، لم تدخلها زوجته الصيدلانية منذ بناء بيت الهرم سنة 1980، فهمى عاش فى الإمارات عشر سنوات مدرساً للموسيقى، لم يفتح غرفة "الضرب" منذ 1985، عام عودته النهائية، بعد عملية القلب المفتوح التى أجريت له وتوقفه الإجبارى عن التدخين، لم يشعر بالسعادة وهو بعيد عن شبرا، بيت الهرم فى شارع متفرع من خاتم المرسلين، مكون من ثلاثة طوابق، يعيش فى أول بلكونة هو وزوجته التى تهتم بالصيدلية الموجودة بالدور الأرضى أكثر منه، هو يخاف منها، وزاد خوفه بعد زواج ابنته فيولا وسفرها إلى كندا مع زوجها (الذى يعمل سمسارا للعقارات مع شقيقها مايكل هناك)، نيفين تفكر هى الأخرى فى الهجرة، وتقول له أنه

. هـو العائـق الوحيـد، لأنـه لا يصلـح للحيـاة، هنـاك، مايـكل يتصـل بـه فى شـقة شـبرا كل أحـد، لأن الـكلام الـذى بينهـما لا ينبغـى أن تعرفـه الأم، يشـعر فهمـى أنـه أخطـأ فى حـق نفسـه وفى حـق مـصر عندمـا سـافر وتخـلى عـن الموسـيقى التـى بداخلـه مـن أجـل المـال، وأنـه كان ينبغـى أن يواصـل التلحـين، فى الهـرم يقولـون لـه يـا دكتـور، لأنـه يقـف فى الصيدليـة ويـصرف الـدواء، ويلجـأ إليـه النـاس فى الطـوارئ ويعطيهـم دواء ناجعـا، فى ينايـر 1993 سـافرت نيفـين إلى كنـدا لأن فيـولا عـلى وشـك الـولادة، ولأول مـرة يكتشـف فهمـى حريتـه، لم يعـد ينـزل الصيدليـة بالبدلـة والكرافـت حسـب أوامـر زوجتـه، وبـدأ يسـتقبل الزبائـن بالبيجامـة، وعـاد تدريجيـاً للتدخـين، عـاد فى وقـت شـهدت فيـه مـصر أزمـة فى الحشـيش لم تشـهدها مـن قبـل، هـو يتابـع أخبـاره مـن بعـض الأشـقياء الذيـن كانـوا يبتذونـه ليأخـذوا الترامـادول والتوسـيفان نظـير حمايتهـم لـه، أخـذ موقفـا حـادا مـن المخـدر ذى الرائحـة الكريهـة الـذى لم يسـتوعبه والـذى حـل محـل كيفـه القديـم، فى أحـد الآحـاد، ذهـب كعادتـه إلى جزيـرة بـدران وقـرر أن يتخلـص مـن الأشـياء التـى لا لـزوم لهـا، بينهـا بدلتـين قديمتـين لا يحتمـل الزمـن وجودهـما، وبعـض الأحذيـة والكتـب، وقـرر تصليـح آلـة العـود المعلقـة عـلى الحائـط، وفتـح غرفـة الـضرب التـى لم تفتـح منـذ قديـم الأزل، الغرفـة ضيقـة، عبـارة عـن جلسـة أرضيـة تسـع خمسـة أشـخاص غـير السـلطان الـذى لـه مـكان مميـز، وثـلاث "جـوز" نحـاس، وأكـثر مـن خمسـين حجـر ماركـة ياسـين "المزركشـة"، وهـى مـن الأحجـار التـى يتـم "تشـعير" المعسـل فيهـا ولا تصلـح إلا للحشـيش، لم تكـن الإدارة فى حاجـة إلا لأشـياء بسـيطة مثـل "الغـاب" والمصفـاة

وتلميع "الجوز" والتهوية ونقل الكاسيت إلى الداخل، وعندما بانت الشقة قرر ألا يذهب إلى الهرم، زار قريبه المعلم فوزى فى روض الفرج، واشترى جبنا وتونة وفاكهة، واصطحب وهو عائد "بتاع روبابيكيا"، الرجل وقف فى الخارج، ودخل فهمى إلى غرفة النوم، أخذ البدلتين وفردهما على السرير، وقف يتأملهما فى البداية، ثم جلس إلى جوارهما، أمسك الشماعتين الخشبيتين الجميلتين، و"استخسرهما" فى الرجل الذى يقف إلى الباب، أخذ يقلب البدلتين ويتأكد من أن جيوبهما فارغة، فعل ذلك بشكل تلقائى، ولم يصدق نفسه وهو يخرج قطعة حشيش لا تقل عن نصف أوقية منسية منذ السبعينيات، تحدث إليها بفرح "أنا فاكرك.. انت فاكرانى.. انتى كنتى فين؟"، الرجل فى الخارج بدأ يضغط على جرس الباب بعصبية ملحوظة، فهمى خرج إليه سعيداً وخفيفاً وأعطاه البدلتين وقال له "دول هدية"، وأغلق الباب فى وجهه بعنف، قرر - وهو يفتحها ويشمها - قرر أن يبحث عن أصدقاء الماضى لاستعادة الماضى، وجهز كل شيء، ودرب نفسه من جديد، ونسى الصيدلية، وظل لمدة ثلاثة أيام يتصل ولم يعثر على أحد، ذهب إلى بولاق أبو العلا يسأل عن الشيخ سلامة صديقه الكفيف صاحب الصوت الجميل، قيل له أنه مات منذ خمس سنوات، ذهب إلى مقاهى الآلاتية ولم يجد الوجوه التى كان يعرفها، وفى النهاية دخل إلى بار ستلا فى شارع سليمان باشا وجلس يشرب بيرة... ويبكى.

حمدى

اعتبر حمدى انهيار الاتحاد السوفيتى هزيمة شخصية له، لم يكن يساريا قبل ذلك، وكان يسخر من الشيوعيين ويعتبرهم السبب فى كل مشاكل مصر، وأنهم وراء تأخر شهرته كأديب هو وعدد كبير من كتاب القصة والشعر والمسرح، كان يذهب إلى الندوات التى تناقش أعمالاً أدبية، ويقرأ صفحة أو صفحتين كمداخلة، أناقته الكلاسيكية المحببة ولغته العربية السليمة والرصينة وصوته الواثق من نفسه كانوا يدفعون الحضور للإصغاء لما يقول بإعجاب، رغم فقر المحتوى وعدم وجود أفكار لامعة، حمدى فى الخامسة والخمسين (مطلع التسعينيات)، تزوج مرتين وفشل، ويقال أنه بخيل لدرجة جعلته يطلق زوجته الثانية لأنه عاد إلى شقته ذات ليلة ووجودها مضاءة وهى نائمة، هو ميسور الحال، وله حيثية وظيفية كمحام فى شركة للأدوية تمتلكها الدولة، وتوجد سيارة بسائق تحت أمره، شعر بخطر حقيقى بعد وصول يلتسن إلى

السلطة فى موسكو، وكتب مقالاً عنيفاً هو الأول له فى الصحف يهاجم فيه الذين رحبوا بالتحولات الجديدة هناك، وأصبح شخصاً مرغوباً فى وجوده فى تجمعات لم تكن تقبل به قبل ذلك، وتضاعف حماسه فى المناقشات، هو لا يدخن ولا يشرب، ولم يشاهد يأكل خارج البيت، فى إحدى الندوات بأتيلييه القاهرة فى يناير 1992 أعجبت دعاء بكلامه وطلبت منه أن يحدثها عن مستقبل الرأسمالية العالمية بعد سقوط الاتحاد السوفيتى، شعر أنه لا يقل عن إسماعيل صبرى عبدالله أو فؤاد مرسى، وخرج يومها فرحاناً بنفسه بعد أن حدد لها موعداً بعد أسبوع، قرأ خلاله ما يكفى ليقول كلاما، دعاء على مشارف الثلاثين، حكت له فى البداية حكايتها، ورحلتها وزواجها فى البرازيل، من شخص اكتشفت أنه سلم رفاقه الثوريين إلى الأمن، وقالت له أيضاً أنها فقدت ثروتها هناك وأنها ممنوعة من رؤية ابنها "سليم"، وبكت، وهو ربت على ظهرها ومال عليها وبان عليه التأثر، وأكدت له أنها فى حاجة إلى من يساعدها على تدويل القضية، لأنها لن تستسلم بعد تخلى الخارجية عنها، صدقها حمدى، واعتبر قضيتها قضيته، وخصوصاً بعد أن عرف أن ثروتها بالملايين، وطوال عامى 92 و1993 كان حمدى ودعاء لا يفترقان، يشربان البيرة منذ السادسة ويغيران الأماكن التى يجلسان فيها، كانت ممتلئة امتلاءاً محموداً، ويغطى الشجن ملامحها الدقيقة، وهو بدأ يتخلى عن وقاره المعهود ويصبغ شعره،هى ظهرت فى الحياة فجأة ولا أحد يعرف عنها شيئاً ولا أين تسكن؟، هى قالت أنها من الإسكندرية ولا تريد أن يعرف أهلها أنها فشلت، أهلها الذين كانوا ضد "الجوازة

والشحططة"، ويقال أنها - بطرق غير مفهومة - نجحت فى الاستيلاء على تحويشة عمر حمدى واختفت تماماً، وتحول هو إلى شخص آخر، ويلبس أشياء غريبة، ولا يحلق ذقنه بانتظام، ويهذى وهو يمشى، ولا يتحدث إلى أحد، رغم وجوده فى الأماكن نفسها وسط أناس يعرفهم ويعرفونه، ولكنه يصبح عنيفاً مع من يسخر منه، ثم اختفى تماماً منذ منتصف التسعينيات، وتخيل كثيرون أنه مات، ولكنه ظهر يلبس جلباباً أبيض مطلقاً لحيته البيضاء يصلى خلف جثمان نجيب محفوظ فى سيدنا الحسين سنة 2006، وعندما فازت مصر بأمم أفريقيا فى 2008 فى غانا، السنة التى كان دورجبا قد استحدث طريقة للاحتفال بإحراز الأهداف، تليق بالملوك المنتصرين. شوهد حمدى وهو فى غاية الأناقة يحمل علم مصر على كوبرى قصر النيل فى الواحدة والنصف صباحاً، كان فرحاناً، ويقلد دروجبا.. بعد إحرازه هدف.

الدكتور

العمارة التى اختارها، كانت بعيدة إلى حد ما قبل عشرين عاماً، فضل السكن فى الطابق الثالث عشر، ونقل أغراضه مبكراً، وقبل تركيب المصاعد.

أغراضه كانت قليلة. أو بدت هكذا بسبب اتساع المكان، فى البداية كان الخفير الفيومى يأتى له "بجراكن" الماء من "العمومى" الذى لم يصل البناية، الشقة تطل على النيل، وصاحبها كان يحب الأكل جداً، رغم أنه لم يكن يقشر البصل والثوم قبل وضعهما على النار مع العكاوى والمخاصى (وجبتيه المفضلتين)، واعتبر المكان الموحش الجديد مكافأة يستحقها بعد مشواره العسير، لا توجد هذه المرة دوشة باب الشعرية التى لفظته، ولا يوجد جيران مزعجون يقطعون عليه الطريق وهو راجع "مبسوط شوية"، بالإضافة إلى أنه بدون زوجته، التى طلقها منتصف الثمانينيات بضمير مستريح، بعد ثلاثين

عاماً مـن "المناقـرة" وبعـد أن تزوجـت ابنتـه وسـافرت مـع زوجهـا إلى الخليـج، الدكتـور رمـزى ليـس طبيبـاً ولم يحصـل عـلى الدكتـوراة، فى المـكان الجديـد صـار دكتـوراً، يناديـه العـمال الكثـار فى العـمارة، والسـوبر ماركـت الجديـد القريـب والسـايس الـذى اخترعتـه سـيارات أصدقـاء صاحبنـا الكثـار، وبالطبـع الخفـير "الرخـم" الـذى لا يفعـل شـيئاً لوجـه الله أبـداً، الجميـع يقولـون لـه "يـا دكتـور" والغريـب أن الدوائـر التـى يتحـرك فيهـا نسـيت هـى الأخـرى اسـمه الحقيقـى، هـو خبـير فى المصريـات، ومرجـع مهـم فى تاريـخ مـصر القديمـة، ولـه اسـهامات كثـيرة، وحـضر مؤتمـرات دوليـة، ويكتـب بالعربيـة والإنجليزيـة، ومـا يعرفـه فى هـذا العلـم يجعلـه أكـثر مـن دكتـور، هـو شـخص فنـان، ولا يخلـو مـن طيبـة قديمـة، ومـن آرائـه القريبـة "اللامعـة" أن الـشرخ الـذى حـدث للمصريـين سـببه إخناتـون، الـذى أخـذ قطاعـاً كبـيراً مـن النـاس إلى "آتـون"، وعودتهـم إلى "آمـون" بعـد ذلـك مرغمـين، ومـن أفـكاره أيضـاً، أنـه ينبغـى أن توضـع الآثـار فى بيـوت النـاس، لأنهـم الأجـدر بالحفـاظ عليهـا، تحـدث مـرة أمـام الدكتـور لويـس عـوض فى الكوزموبوليتـان عـن وجـود موميـاوات بحوزتـه، فأعتـبره الدكتـور مجنونـا! ورمـزى لاحـظ أنـه اعتـبره كذلـك، فوعـده بواحـدة "موميـاء طبعـا". بعـد يومـين هاتفـه، ومـر عليـه، وعندمـا فتـح المفكـر الكبـير "شراعـة" الشـقة التـى هـى فى جـاردن سـيتى، وجـد رمـزى، ومعـه شيء ملفـوف يشـبه الموميـاء، سـنده عـلى الحائـط، أغلـق الشراعـة وقـال لـه انتظـر قليـلاً، وطلـب لـه البوليـس، رمـزى لـه صديقـة هولنديـة طويلـة وممتلئـة بشـكل لافـت، لا يوجـد لديهـا أى مزايـا، وعـلى ملامحهـا غلظـة بدائيـة، سـتلاحظها إذا جـاءت عينـاك فى عينيهـا

الضيقتين، هو يقول إنها زوجته، وهما عادة لا يتحدثان معا، طوال وجودهما معا، ولكن الموضوع كان فيه "شغل". هو كان قد أسس جمعية مهمتها تلقى تبرعات عينية ترسلها الكنائس الأوروبية لفقراء العالم الثالث، وتأتى البضاعة التى نشاهدها بعد ذلك فى وكالة البلح، كانت تأتى إليه مرتين فى العام، وكان يقوم بتجنيب "بالتين" من البضاعة، يفتحهما فى شقته الجديدة "والتى ظلت على المحارة حتى وفاته"، ويدعو كل الذين يعرفهم من محتاجى الدوائر التى يتحرك فيها، وكل المحتاجات بالطبع، وتكون سعادته بالغة عندما كان يقيس أحدهم شيئاً أعجبه... ويكون "مضبوطا" عليه.

عبد الحميد

تغيرت حياة عبد الحميد بعد الميراث، وتوقف عن ترجمة أدبيات الماركسية، عن الترجمة بشكل عام، ولم يعد مضطراً للكتابة فى مجلات العراق والخليج، وانتقل إلى شقة جديدة فى شارع بولس حنا فى الدقى، وقام بتسوية معاشه، وبدأ حياة جديدة، كان فى الخامسة والخمسين، غير متزوج، يعانى طوال الوقت من ارتفاع "اليورك أسيد" ومع هذا يأكل وجبتين "لحمة حمراء" فى اليوم، البيت الذى ورثه وباعه لأحد البنوك جعله فجأة من أصحاب الملايين، ودفعه لصبغ شعره وتغيير نظارته التقليدية بأخرى بدون إطار، وينزل أيام الجمعة بملابس رياضية، وفقد حماسه للسياسة والجدل، وبدأ "يشوف نفسه" وهذا حقه!

ولكنه أصبح شخصا آخر، يظن أن الذين "يودونه" ويسألون عنه يريدون منه شيئاً، أصبح حريصاً لدرجة خانقة، لم يكن

هكـذا قبـل ذلـك، لأنـه يعيـش وسـط أنـاس، آخـر شيء يفكـرون فيـه هـو "الفلـوس"، وتنتهـى سـهراتهم عـلى خـير، كل واحـد منهـم يـترك مشـاكله عـلى بـاب المـشرب، ويأنـس لآخريـن يحملـون نفـس الهمـوم ويطمحـون فى كتابـة أجمـل وفى حيـاة أجمـل، لم تكـن فى "المناطـق" العقـد التـى جـاءت بعـد ذلـك، ولم تكـن أمـراض عـدم التحقـق عائقـاً أمـام الفـرح، تغـيرت حيـاة عبـد الحميـد إلى الأسـوأ، وانطفـأت أفـكاره اللامعـة، التـى كانـت لامعـة بالفعـل، واتجـه إلى سـماع الأغنيـات الجديـدة، وهـو الخبـير بمحمـد عبـد الوهـاب، ووصـل بـه الأمـر إلى الجلـوس بمفـرده، حتـى لا يعـزم أحـداً عـلى شىء، ظـل يظهـر فى المكتـب "الـذى يسـمى أيضـاً المخـزن، وخـط الدفـاع الثـانى" والـذى هـو بـار سـتلا يومـين فى الأسـبوع، قلـل فيهـما البقشـيش، وانخفـض منسـوب ابتسـامته، لم يغـير نـوع سـجائره "البلمونـت"، فى إحـدى ليـالى شـتاء 1989، جلـس شـاب مـن طنطـا يكتـب القصـة القصـيرة إلى جـواره، ودار بينهـما حديـث عنيـف، الجديـة التـى ظهـرت أول الليـل خفـت، وسـمع الجميـع الاتفـاق الـذى حـدث، والـذى يقـضى بـأن يـشرب الكاتـب الشـاب مـا يشـاء عـلى حسـاب عبـد الحميـد بـشرط ألا يدخـن أمامـه، وأسرف الاثنـان فى الـشرب، وبعـد إغـلاق المـكان، اتجهـا سـوياً لاسـتكماله فى "عـلى بابـا" بميـدان التحريـر، وهـما فى طريقهـما، توقـف المثقـف الـثرى أمـام كشـك السـجائر الموجـود أمـام عمـر أفنـدى فى شـارع سـليمان باشـا، وأعطـى الرجـل عشريـن جنيهـاً وطلـب علبـة سـجائر، وتـرك للبائـع البـاقى، والكاتـب الشـاب يحلـم بتدخـين سـيجارة، بعـد أن جلسـاً ونزلـت البـيرة، توجـه إلى الكشـك، ووبـخ البائـع الـذى خـدع والـده لأنـه "شـارب شـوية"! فأعطـاه البائـع علبـة سـجائر ونهـره،

وعندمـا عـاد إلى أسـتاذه، فتـح العلبـة بمقـص صغـير يحتفـظ بـه في جيبـه.. وقبـل أن يشـعلها، هـاج عبـد الحميـد ورمـى بالزجاجـة عـلى الأرض، وطـرده مـن المـكان.. وجلـس بمفـرده.. يبـكي!

مصطفى

مصطفى من عشرات الموهوبين الذين حذفهم القطار فى باب الحديد ومضى، من الذين يحبون الكتابة والرسم والسينما والمسرح والناس، هو من زفتى، وحصل على الليسانس من المنصورة، وعمل لفترة قصيرة كمحام تحت التمرين فى مكتب الأستاذ أحمد الخواجة فى بداياته فى القاهرة سنة 1988، ولكن ارتباطه بالأدباء الذين يسكن معهم فى شقق (أو غرف) مشتركة غير مسار حياته، يلجأ إليه أبناء جيله من الشعراء والقصاصين بسبب آرائه الذكية واللامعة، يقرأون عليه مسوداتهم ويأنسون لرأيه، بعد تركه المحاماة اشتغل فى عرض الكتب وإجراء الحوارات مع الأدباء الشباب لصحيفتين خليجيتين، عمله الجديد حقق له دخلا معقولا دفعه للسكن بمفرده فى شبرا الخيمة، مصطفى ابن ليل، ومائى وهوائى، أى يحب الخمر والحشيش وله حضور ملحوظ أينما حل، ويكرهه جداً الكاتب والروائى المعروف محمد عوف يكرهه لأسباب غامضة، رغم أنهما

يسهران معا ثلاثة أيام فى الأسبوع على سطوح فى شارع على زين العابدين بالسيدة، الروائى اعتبره دخيلا، وربما كان مخبراً، وربما بسبب محبة النساء له، وكان يعتبر آراءه عن الكتابة آراء مراهق قليل الخبرة، وكان الخبثاء يصدرون إحساساً شاسعاً بافتقاد "درش" إذا غاب أسبوعاً فى البلد أو "غطس غطساته إياها" لإغاظة العم محمد الطيب سريع الغضب، مصطفى كان يهاجم الذين يسافرون إلى مهرجانات صدام حسين ونعوش المصريين المقبلة من العراق تظلل سماء القاهرة، يكتب البيانات، ويسكر على القادمين، ولكنه لم يقترب من الروائى، لأنه كان يحبه بالفعل، وبعد احتلال الكويت بدأ مصطفى معركته ضد الذين غيروا موقفهم ومهدوا لدخول الدبابات الأمريكية المنطقة، ورفض العمل فى جريدة صوت الكويت وأدان الذين عملوا بها لأنهم من وجهة نظره وقفوا ضد الحل السلمى للصراع، لم يعد مرحباً به فى أماكن كثيرة، وتوقف عن العمل فى الصحافة، واعتزل الناس، لأنه شاهد أسماء كبيرة تلهث خلف مناصب وفلوس، وشعر بإهانة حقيقية وخيبة أمل، وعاد إلى زفتى واستقر هناك، يعمل مع والده فى محل بقالة يمتلكونه، فى سنة 1994 اختارته دار نشر جديدة محرراً لها، ومنحوه سلطات واسعة وراتبا كبيراً، الدار الجديدة كان طموحها كبيراً، طلبت أعمالاً من معظم الناس، ودفعت "عرابين" لهم، وكانت من بين الأعمال رواية للروائى المعروف، أعجبت مصطفى، ورأى أنها من الممكن أن تكون أفضل لو طرأت عليها بعض التعديلات، وكتب تقريره بمحبة شديدة، واقترح حلولاً لضبط الإيقاع، كان العمل مترهلاً بعض الشىء، ولكن الموضوع جميل،

عـن صديقـين لا يفترقـان لمـدة عشريـن عامـاً، ولكـن الكراهيـة التـى بينهـما أكـبر مـن قدرتهـما عـن الابتعـاد عـن بعضهـما البعض،الروائى الكبـير رفـض التعديـلات، وهاجـم دار النـشر (التـى لم تصـدر كتابـاً وأغلقــت بعــد عــام مــن المناقشــات) فى الصحــف، ونشرهــا بعــد عامـين، بعـد أن أخـذ كل اقتراحـات مصطفـى مأخـذ الجـد، ونجحت الروايــة وتغـير أسـلوب كاتبهـا بعدهـا، ولم يظهـر مصطفــى إلا فى مظاهـرة لأدبـاء وفنانـين مـن أجـل التغيـير فى ميـدان سـليمان باشـا سـنة 2005، وكانـت أحوالـه تبـدو بخـير، صافحـه الـروائى بفتـور فى البدايـة، وعندمـا أحـس بحـرارة سـلام مصطفـى، أخـذه فى حضنـه، وظهـرت خلـف زجـاج نظارتـه.. دمـوع.

كمال وتوفيق

الخلاف بينهما سببه معروف، ذهب كمال - قبل خمس سنوات - إلى توفيق فى روض الفرج بصحبة شخص غريب الأطوار قال وهو يقدمه "دا بقى متولى"، وتركه يتصرف على حريته فى المكان، التى كان من آثارها تكسير "طقم كوبايات تركى"، وخلع باب "الكاسيت السونى الجديد".. كان يوماً عصيباً، لأنك أمام شخص من الممكن أن يفعل أى شىء، وكمال "ولا هو هنا".

فى اليوم التالى كتب توفيق رسالة إلى كمال عبر البريد المستعجل طالبه فيها بدفع مصاريف تصليح الكاسيت والمجىء بطقم "كوبايات" مشابه، وحدد له المحل الذى اشتراه منه فى "ممر بابيك" بوسط البلد، وقال له أيضاً إنه يكفى احتماله فلان وفلان من أصدقائه، وفى نهاية الرسالة كتب له إنه لابد أن ينفذ ما طلبه قبل قطع العلاقة بينهما.. كمال صور

الخطاب وأرسل نسخا منه "فى البريد أيضاً" إلى جميع الأصدقاء.. وتسبب فى إحراج بالغ لتوفيق.. فى يناير 2002 طرق كمال باب توفيق، بيده وعلى الجرس وبقدمه كما كان يفعل قبل خمس سنوات، عرف أنه هو، وقال - وهو يفتح الباب - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، كمال دخل ولم يلق السلام، ووضع فى المدخل "كرتونتين" وخلع حذاءه وسترته الكتان ودخل الحمام حافيا بعد أن فشل فى العثور على شبشب، و"شقر" على المطبخ وكشف "الحلل" واكتشف أن العشاء سيكون "عكاوى بلسان العصفور"، قال لتوفيق "ليه ما عملتهاش بالبصل"، توفيق رد "وانت مال أهلك"، ضحك كمال وقال "أنت فعلاً شخصية معينة"، توفيق تجاهله تماماً، وراح يتجول فى شقته المكونة من أربع غرف صغيرة وممر طويل وصالة "معقولة" ويعيش فيها بمفرده منذ سنة 1991، عبد الباسط المحامى جاء أخيراً، قال له توفيق بعصبية "إيه اللى أخرك؟.. نظر عبد الباسط إلى ساعته فى دهشة، ولمح كمال، "أخذا بعض" بالأحضان وجلسا يتحدثان فى أمور شتى، بينهما حكايات صغيرة قديمة، تنتهى بسرعة ويتوقف الكلام، توفيق قال لعبد الباسط "على جنب" إن الإكسوجين اختفى من الجو منذ مجىء هذا الرجل "وقال لكمال بصوت عال "تشرب إيه يا باشمهندس؟" لم يرد عليه، وقام وأتى بالكرتونة الأولى وأخرج كاسيت صينيا كبير الحجم، "بروحين" فضى اللون، مستوحى تصميمه من المركبات الفضائية، وعندما حاول تشغيله هب توفيق غاضباً وقال: كان الكاسيت القديم "سونى يابانى" و"أنا مش عايز منك حاجة".. وأعاده بنفسه إلى الكرتونة، ودخل إحدى الغرف" وعاد ببكرة

"شـيكرتون" وأحكـم إغلاقهـا ووضعهـا جنـب البـاب، بعـد سـاعة أو يزيـد مـن الصمـت قـام كـمال وأتى بالأكـواب الجديـدة التـى لم تـرق أيضـاً توفيـق وفعـل معهـا مـا فعلـه بالكاسـيت.. كل هـذا والسـجائر الملفوفـة تـدور بـين الثلاثـة بإيقـاع مضبـوط، وعبـد الباسـط يقـرأ فى صحـف الغـد بضجـر، وعندمـا انتهـى منهـا دخـل إحـدى الغـرف، ونـام، هـو عـادة لا ينـام هنـاك... مـر وقـت طويـل، قـال كـمال لتوفيـق "عايـز أعرفـك بمـراتى الجديـدة"، أنـت تعرفهـا، وقـال لـه اسـمها، أجابـه توفيـق "وهـى دى جديـدة؟"، غضـب كـمال جـدا، وشـتمه وأوشـك أن يضربـه، اعتـذر توفيـق وأكـد لـه أنـه "بيهـزر" وأنهـا سـيدة محترمـة وهـو يحبهـا، وناولـه سـيجارة "كويسـة"، أشـعلها كـمال، وعندمـا طلـب توفيـق منـه الولاعـة ليشـعل هـو الآخـر سـيجارته، رفض كـمال بحسـم، كان عبد الباسـط قـد اسـتيقظ، وجلـس عـلى مقعـد آخـر فى الصالـة التـى بهـا ثـلاث كنبـات وثلاثـة كـراسى، قـال لـه توفيـق: "تخيـل مـش عايـزنى أولـع بولاعتـه؟" المحامـى الشـاب لم يـرد، وذهـب صاحـب البيـت إلى المطبـخ ليشـعلها وهـو يـضرب كفـا عـلى كـف ويهـذى بكلـمات غـير مفهومـة، وفجـأة قـام كـمال وأمسـك بعبـد الباسـط وقـال لـه بحـدة "يعنـى إيـه ياخـذ ولاعتـى؟"، ولاعتـى يجـب أن تظـل فى جيبـى، أنـا أكـره الكبريـت، لم يعـد الكبريـت كبريتـا، وعندمـا أمـشى فى الشـارع بـدون ولاعـة.. أشـعر أننـى إنسـان فاشـل.

الأصول

وانـت بينهـما لـن تشـعر أنـك تتقـدم فى العمـر، وأنـت تعرفهـما منـذ أيـام الجامعـة، وتعـرف قدرهـما بالطبـع، ولكنـك أيضاً تعـرف أنهـما توقفـا عـن القفـز، لا بسـبب كـبر سـنهما، ولكـن لأنهـما اكتشـفا أن الـذى لا يعمـل يحصـد، والدولـة تبحـث عـن أسـماء فى "خناقاتهـا" لتقـول إن "نخبـة مـصر" معهـا، الرجـلان الكبـيران يحدثانـك طـوال الوقـت عـن الأصـول، وعـن الإحسـاس بالمسـئولية، وعـن أيـام النضـال، وينظـران إليـك باعتبـارك شـخصا "سـنيدا" هـما يحبانـك بالطبـع، ويزعجهـما اختفاءاتـك المتقطعـة، ولكنـك لا تسـتطيع الحديـث عـن مـصر فى وجودهـما، مـن أنـت أصـلا يـا فـلاح يـا أريافجـى لـكى تتحـدث عـن العـمارة مثـلا أو عـن الموسـيقى؟.. عبـد الواحـد مسرحـى قديـم، ويكتـب عـن مـسرح الشـعب مقـالات شـديدة بعـد القضـاء عـلى المـسرح وعلى الشـعب، ينحـاز بغبـاء لأشـخاص أهـم مـا يميزهـم ارتفـاع صوتهـم، يسـهر مـع صديقـه أحمـد كل ليلـة فى مـشرب عـام، يصبـغ شـعره بصبغـة

لا تتسق مع سنة التى قاربت السبعين، صديقه يكبره بعام، ويختلفان كل ليلة على النساء العابرات، اللاتى ينظرن إليهما باعتبارهما من حالات الليل فى وسط المدينة، عبد الواحد يعانى من غيرة زوجته، وأحمد - بين الحين والآخر - يشعل الفتن بينهما، ولكنهما فى آخر الأمر لا يجدان غير بعضهما، من عادات عبد الواحد السيئة سرقة الولاعات والأقلام والكتب، ودائماً يتهم صديقه أحمد، هما يصيفان سنوياً هما وأسرتاهما فى رأس البر، عبد الواحد يحب أيضاً سرقة المايوهات على الرغم من أنه لا ينزل البحر، ولا يطلب من أصدقائه القادمين من الخارج شيئاً غير الفياجرا والمشروبات الروحية والقمصان "المقلمة بالطول"، منذ عودته إلى أرض الوطن فى منتصف الثمانينيات بعد رحلة مع البعث ومنظمة التحرير والجماهيرية، هو هكذا، يطلق الألقاب على خصومه، ويعلى من شأن آخرين، ويشرب كل ليلة، طاولته دائماً طرية، ولا يوجد فيها كلام مهم، الشباب ينظرون إليه بمحبة حتى لو أخطأ، على عكس أحمد الروائى الذى يتهم النقاد والناشرين والصحفيين بمحاربته، وبمحاربة عمال قصصه لصالح الخصخصة ورجال الأعمال، سرقت شقة عبد الواحد، وفيها مسيرته وأبحاثه وهداياه، هو يسكن فى "الظاهر"، توسط جرسون قديم لأمين شرطة لعودة المسروقات، قبل أن تتناول الصحف الواقعة، جلس عبد الواحد ليلتين يعدد للنساء العابرات ما سرق منه، ومعنى كل قطعة اختفت. جعل الجميع يشعر بأن مصر هى التى سرقت، وأن يدا "خفية" كونية وراء ما حدث.. وفجأة اتصل الجرسون بعبد الواحد، وقال له تعال وجدنا المسروقات ذهب ومن معه "أحمد

وسليم وشاكر وعفاف وسناء" استقبلهم الضابط بحفاوة وفرش المسروقات على مكتب عريض، وفجأة صرخ أحمد وهو يمد يده. هذه ولاعتى وهذه ولاعتى وهذا قلمى، وتعرف سليم على ساعة اختفت منذ عشر سنوات وسط دهشة الحضور.. ولكن عبد الواحد لم يفته أن يشيد.. بالأمن ودوره فى التنمية!

صورة الوالد

حكايـات محـدودة تراكمـت عبرالزمـن هـى التـى تجمـع بـين الرسـام والمترجـم، الأول فنـان كبـير فعـلاً وناجـح ومتحقـق ولم يسـتند إلى أى سـلطة فى حياتـه، يعيـش بـين فرشـاته وألوانـه، والمترجـم رجـل وقـور، يهتـم بملابسـه "المسـتوردة" وهيئتـه أمـام الآخريـن أكثر مـما ينبغـى، يلتقيـان فى مرسـم الفنـان فى الزمالـك مـرة كل أسـبوع "الأربعـاء عـلى الأرجـح"، المترجـم يحـب النميمـة، وينقلهـا أسـبوعيا طازجـة إلى صديقـه، الـذى يعرفـه منـذ أواخـر الخمسـينيات، هـو مـن عائلـة كبـيرة فى الفيـوم، ولا يكـف عـن الحديـث عنهـا وعـن مآثرهـا مـع أى شـخص وفى أى وقـت، ويتحـدث كثـيراً عـن والـده الـذى كان ضابطـا فى الحـرس الملـكى، ويحتفـظ بحكايـات مـن طفولتـه لا تدهـش أحـداً، الرسـام لا يذهـب إليـه أحـد إلا بموعـد مسـبق، وعـادة لا يقابـل شـخصين فى وقـت واحـد، والمترجـم - مـع التقـدم فى العمـر - بـدأت تتضـح كراهيتـه تجـاه الجميـع، هـو يـرى أنـه كان مرشـحاً لـوزارة الثقافـة

وغـدر بـه أصدقـاؤه الشـيوعيون، ويحـكى عـن اتصـالات تمـت مـع مسـئولين كبـار فى السـبعينيات، والرسـام يكـون فى أحـلى حالاتـه وهـو يتحـدث عـن الشـعر والسـينما والمـسرح والروايـة، ويريـد أن يتعـرف عـلى العـالم بإخـلاص.

والمترجـم فقـد الاتصـال بـكل أصدقائـه لأنـه اعتبرهـم تخلـوا عنـه، ولكنـه ظـل حريصـاً عـلى الذهاب إلى "البـن البرازيلى" فى شـارع سـليمان باشـا فى الثامنـة صباحـاً، هـو يقـرأ "الأهـرام" فقـط وغـير مقتنـع بصحـف أخـرى، وتظهـر شراسـته عندمـا تكـون فى المـكان امـرأة، يتحـول إلى شـخص عـدوانى ويقـول كلامـاً نهائيـاً ولا يقبـل الجـدل، الرسـام بـدأ يضيـق بـه، خصوصـاً بعـد أن طلـب منـه أن يرسـم والـده راكبـا حصانـاً وهـو يرتـدى البدلـة الميرى وعـلى صدره النياشـين والأوسـمة، المترجـم جـاء لـه بأكـثر مـن صـورة لوالـده وهو يركـب أحصنـة فى أماكـن مختلفـة، الرسـام يحـاول الاعتـذار لمـدة ثـلاث سـنوات، والمترجـم مسـتعد لدفـع أى مبلـغ يطلبـه الرسـام، فى اللقـاء الأسـبوعى بينهـما لم يعـد المترجـم بمفـرده فى المرسـم، لأن معجبـات الرسـام وتلاميـذه أصبحـوا حاضريـن، ويتعاملـون مـع المـكان كأنهـم أصحابـه، والمترجـم صـار أكـثر عنفـا ويشـعر بالوحدة، واحـدة مـن الشـاعرات قـررت أن "تشـتغله" خصوصـا بعـد أن عرفـت أنـه صاحـب ذوق قديـم وأنـه لا يعـرف مـا يحـدث مـن ثـورة فى الشـعر المـصرى بدايـة التسـعينيات، كانـت تهاجمـه بدلـع فيحمـر وجهـه ويرتبـك، وبسـببها عـاد إلى التدخـين، والرسـام يتفرج، وفى كل مـرة يحدثـه - وهـو ينـصرف - عـن ملامـح والـده الصعبـة والتـى تحتـاج منـه وقتـاً إضافيـاً، والمترجـم يقـول لـه "ليـس صحيحـاً

أن كل ملامـح الأتـراك متشـابهة"، والرسـام يؤكـد عـلى كلامـه، فى إحـدى المـرات ذهـب المترجـم إلى المرسـم وكان عنـد الفنـان الكبـير ضيـوف مـن أمريـكا، جـاءوا لترتيـب معـرض لـه فى نيويـورك، كانـوا ثلاثـة رجـال وامرأتـان، عرفـه عليهـم وأشـاد بصداقتهـما وبتاريخهـما معـاً، والمترجـم عاملهـم باعتبارهـم جواسـيس وكان صفيقـاً معهـم، أخـذه الرسـام مـن يـده وخـرج بـه وقـال لـه كلامـاً، بعـد يومـين اتصـل بـه، وكانـت المـرة الأولى فى علاقتهـما يتصـل بـه فى بيتـه، وقال لـه إنـه رسـم والـده وإنـه لا يريـد منـه فلوسـا، وقبـل أن يقـدم لـه اللوحـة شـتمه بصـوت خفيـض عـلى مـا قالـه لضيوفـه، المترجـم كان مبتسـما وفى عينيـه لمعـة انتظـار طفوليـة، وعندمـا خـرج الرسـام باللوحـة وثبتهـا عـلى الحائـط، بـكى المترجـم بـكاء حـارا، وقـال لـه: "مـاذا فعلـت بـأبى؟".. الرسـام أشـعل سـيجارا وصـب كأسـا لنفسـه ونظـر إلى السـيارات فى الشـارع.. كل مـا فعلـه، أنـه رسـم والـده بكامـل هندامـه، ولكنـه اسـتبدل الحصـان، بحصـان أطفـال مـن خشـب.. خـرج المترجـم حزينـاً، وانقطـع الخيـط بينهـما.. حتـى عندمـا مـات الرسـام لم يحـضر صديقـه.. العـزاء.

عدم الإكتراث

هـما صديقـان قديمـان، ارتبطـا عنـد النـاس بظهورهـما معـا، سـنوات طويلـة لم يظهـر فيهـا إحدهـما بمفـرده، تجدهـما أساسـيين فى حفـلات فرقـة الموسـيقى العربيـة أو فى "افتتاحيـات" معـارض الفـن التشـكيلى، أو فى المسـارح الحكوميـة "خالـدة الذكـر" وربمـا تصطـدم بهـما فى أحـد الموالـد، يتحدثـان معـا بجديـة طـوال الوقـت، ولا تعـرف مـن أيـن يأتيـان بالـكلام؟.. حتـى عندمـا يذهبـان "أيـام الجمعـة" إلى السـهر فى مـشرب عـام لا يسـمحان لأحـد بالجلـوس معهـما، وعندمـا يصافـح أحدهـما شـخصاً مـا يعرفـه ويسـتعد للجلـوس "نصـف جلسـة" لاسـتكمال جملـة ينبغـى أن تسـتكمل، يهـب الآخـر "احنـا بنتكلـم فى موضـوع"، لهـما عالمهـما الخـاص، يحبـان مثـلا الأثـاث القديـم ويعرفـان معظـم المشـتغلين فيـه، ويذهبـان مـرة فى الشـهر إلى العطاريـن فى الإسـكندرية للغـرض نفسـه، يمتلـك كل منهـما سـيارته الخاصـة، إذا دخلـت فيهـما، ستكتشـف أنهـما مختلفـان تمامـاً، فريـد بيـه أهـلاوى عريق، وسـمير

بيـه زملـكاوى مسـتفز، ومـع هـذا اتفقـا عـلى ألا يتحدثـا مطلقـاً فى الكـرة المصريـة، الوحيـد الـذى يشـعران تجاهـه بالألفـة طـارق، فى الخامسـة والأربعـين، أبـوه كان يسـاريا قديمـاً مثلهـما وكان صديقـا لهـما مـات بسـبب خطـأ طبـى فى الثمانينيـات، هـو الوحيـد الـذى يدخـل بينهـما ويعاملانـه كابـن حقيقـى، وإذا حدثـت مشـكلة لأى منهـما يكـون طـارق موجـودا ويخدمهـما بحـب وتفـان، فريـد كان موظفـاً كبـيراً فى الجهـاز المركـزى للمحاسـبات، خـرج عـلى المعـاش سـنة 1994، وسـمير كان جيولوجيـا فى هيئـة المسـاحة الجيولوجيـة، ومشـغولاً بترجمـة الكتـب العلميـة عـن الألمانيـة، هـو عـلى المعـاش أيضـاً منــذ 1992، يعرفــان بعضهــما منــذ نهايــة الخمســينيات ولكنهـما لم يتصادقـا بحـق إلا فى الغربـة فى السـبعينيات فى الكويـت، أشـياء غريبـة قضـت عـلى صداقتهـما فى السـنوات الأخـيرة، منهـا مثـلا "وكانـت البدايـة" عندمـا جـاءت ماجـدة الرومـى إلى القاهـرة وقدمـت حفـلاً ناجحـاً بسـبب اهتـمام الإعـلام المبالـغ فيـه، فريـد بيـه لا يصدقهـا، ويعتبرهـا انتهـت بعـد تلحـين كـمال الطويـل لهـا فى فيلـم "عـودة الابـن الضـال" أجمـل مـا غنـت، وسـمير يحبهـا ويحـب أداءهـا ويستشـهد بـرأى فاتـن حمامـة فيهـا، والـذى نشرتـه الصحـف آنـذاك، فريـد بيـه ليـس مفتونـاً بفاتـن حمامـة وبالتـالى لا يعتـبر شـهادتها ذات قيمـة، هـو يـرى أن شـادية هـى سـيدة الشاشـة "بالثلـث"، وصديقـه يمعتـض عندمـا يسـمع هـذا الـكلام، فريـد متـزوج ولـه ابنـة وحيـدة هاجـرت مـع زوجهـا إلى كنـدا، وزوجتـه شـخصية قويـة ولا تحـب سـمير لأنـه لا يختـار ألـوان ثيابـه كـما ينبغـى، والـذى يفشـل فى ذلـك - حسـب نظريتهـا - شـخص فاقـد للإحسـاس ولا يؤتمـن، سـمير بيـه ماتـت زوجتـه بعـد زلـزال

1992 بيومـين، ولم يلتـق الرجـلان منـذ أحـداث 11 سـبتمبر.. لمـاذا؟، لأن فريــد بيــه اكتشــف أن صديقــه فــرح جــداً بتفجــير البرجــين ولم يشـعر بـالأسى عـلى الضحايـا، وذهــب ليلتهـا إلى بـار الأنجلـو وعـزم النـاس جميعـاً عـلى بـيرة، بعـد أيـام اتصـل بصديقـه فـرد عليـه بجفـاء شـديد وقـال لـه يـا أسـتاذ سـمير "نمرتـك معايـا وتأكـد أننــى سـأتصل بـك ذات يـوم"، سـمير اشـتكى لطـارق وطـارق اتصـل "بانــكل فريـد" الـذى قـال لـه بالنـص: علاقتـى مـع هـذا الرجـل وصلـت إلى "نقطـة عـدم الإكـتراث"!

كمال خصخصة

"أبـو عـماد" مـن أوائـل ضحايـا الخصخصـة، فجـأة وبـدون مقدمـات قيـل لـه "أنـت معـاش مبكـر" وأعطـوه شـيكا بعشريـن ألـف جنيـه، وجعلـوه يوقـع عـلى عشريـن ألـف ورقـة، "أبـو عـماد" مـن سـكان الدراسـة أبـا عـن جـد، وعمـل فى مصنـع الحديـد والصلـب بحلـوان لمـدة ربـع قـرن أو يزيـد، وكان عملـه هـو حياتـه، واكتفـى بصداقاتـه فيـه وتفاصيلـه وأفراحـه وأحزانـه و"جمعياتـه" ومصايفـه و"عمرتـه" ومؤامراتـه، ضاعـت الفلـوس خـلال ثلاثـة أشـهر، لأن أم عـماد غـيرت "ركبتهـا" بعمليـة دقيقـة، عمـل فى أحـد مصانـع شـبرا الخيمـة لمـدة شـهر وتركـه لأنـه أحـس بالإهانـة، ولأن الذيـن يوجهونـه لا يفهمـون فى الميكانيـكا مثلـه، ولم يسـافروا إلى ألمانيـا الشرقيـة ويتتلمـذوا عـلى أيـدى الخواجـة، فجـأة وجـد "كـمال" نفسـه بـلا سـقف ولا أصدقـاء ولا مـوارد، وبـدأت تطـارده الكوابيـس ويكلـم نفسـه ويمـشى فى المنطقـة مثـل المجاذيـب، إلى أن اسـتقر بـه المقـام فى مقهـى صغـير بشـارع المعـز، يجلـس هنـاك

طوال الوقت، صاحبه رجل حنون، يعرفه منذ الصبا، وكان نديما له قبل أن يتوقف عن التدخين، بعد عام من المعاش المبكر "لَسَع" أبو عماد تماما، وراح يتحدث إلى أشخاص غير ظاهرين ويغنى ويضحك فى وقت واحد، لم يكن مثيرا للشفقة بسبب خفة دمه وبسبب أناقته، ولأنه لم يطلب شيئاً من أحد، كان إذا شاهد شرطياً يغنى "ماتخصخصينى يا ماما.. قوام يا ماما"، دا حبيبى هايخدنى بالبيجامة يا ماما "كانت أذنه موسيقية ويغنيها بأداء لا يقل عن أداء مها صبرى فى "ماتزوقينى يا ماما"، والغريب أن رواد المقهى كانوا يردون عليه ويغنون معه، وبدأ العساكر يخافون من الذهاب إلى هناك، وأصبح اسمه الجديد "خصخصة"، وعندما كان يناديه أحدهم به، يبتسم ويرد "يا عيون خصخصة" وعندما تأتى سيرة الأسعار يبدأ فى شتيمة الملك فاروق الأول الذى تسبب فى جعل كيلو اللحم بربع جنيه والعشر بيضات بشلن! عماد، أبنه الأكبر، كان قد تخرج فى كلية التربية الموسيقية، وانخرط فى تلحين بعض الأغنيات الوطنية، ويشارك فى أمسيات هنا وهناك، ويسهر وسط مثقفين كبار، ويتبارى شعراء العامية الصغار، وخصوصا من الأقاليم، فى الكتابة له، ولكن موضوع والده آلمه و سبب له حسرة حقيقية، وخصوصاً بعد أن صار اسمه فى كل مكان عماد خصخصة، وأصبح مضطراً للعمل فى شارع الهرم "عوادا" لكى يواجه متطلبات البيت وعلاج أمه ومصاريف شقيقته وشقيقه، لم يكن عماد موهوباً فى التلحين، ولكنه كان عازفاً ماهراً على آلة العود، ودافئا فى علاقاته الإنسانية وطيبا ومحبا لأهله، كان يذهب إلى والده يوميا فى المقهى، يدفع له الحساب

ويدفـع أيضـاً للمطاعـم المجـاورة ولماسـح الأحذيـة الـذى يلمـع لكـمال ثـلاث مـرات فى اليـوم، ذات مسـاء حـاول الابـن أن يأخـذ أبيـه إلى طبيـب نفسـانى، ولكـن الحـزن الـذى حـاصر كـمال دفعـه لمحاولـة الانتحـار، بعـد أن هجـم عـلى محـل الحلاقـة القريـب، وأخـذ "موسـاً" وشرع فى تقطيـع شرايـين يـده اليـسرى، حملـه عـماد عـلى كتفيـه وذهـب بـه إلى مستشـفى الحسـين، بعـد هـذه الواقعـة قاطـع الأب المقهـى، وبـدأ يقـضى وقتـه فى مسـجد سـيدنا الحسـين، يجلـس سـاهماً فى مواجهـة القبلـة، وصـار قليـل الـكلام بعد شـهرين تقريبـا كان موعـد زفـاف عـماد بابنـة عمتـه سـعاد كاتبـة القصـة اليسـارية، وكان الفـرح فى السـاحة الكبـيرة بالباطنيـة، أبـو عـماد آخـر مـن ذهـب إلى هنـاك، وكان الموسـيقيون أصدقـاء العريـس قـد "شـعوذوا" الدنيـا، صعـد الأب الأنيـق المـسرح وقبّـل العروسـين. وظـل يرقـص حتـى الصبـاح.

الديك

ذهـب عـادل إلى عبـدالله فى الموعـد المحـدد، العـاشرة مسـاء الخميـس، كـما يحـدث كل أسـبوع، ومعـه الديـك الرومـى المتفـق عليـه، والـذى اكتتبـت الشـلة لشرائـه، بمناسـبة الترقيـة التـى تأخرت عـلى عبـدالله بسـبب عضويتـه فى حـرب التجمـع، والتـى صـار بقتضاهـا مديـراً لأحـد فـروع صيدنـاوى فى القليوبيـة، شـقة عبـدالله دور ثـان فى شـارع جانبـى داخـل وكالـة البلـح، وهـو يقـول إنهـا مسـكونة، وإنـه صـار صديقـاً للعفاريـت، وخصـص لهـم الغرفـة الصغـيرة وملأهـا بالزبيـب البولانـاكى الـذى يحبونـه، الشـقة تدخلهـا الشـمس مـن شـباك المطبـخ فقـط، وهـى نظيفـة ومرتبة ومتقشـفة، ولكـن رائحـة الملابـس المسـتعملة تعبـئ المـكان، تلـك الرائحـة التـى تذكـرك بلحظـات الإحبـاط، والتـى لم ينجـح البخـور الرخيـص معهـا، عـادة يدفـع عـادل البـاب ويدخـل، هـذه المـرة وجـده مغلقـاً، طرق البـاب كثـيراً بيديـه وقدميـه، لدرجـة جعلـت الجـيران يتجمعـون، بعـد ربـع سـاعة فتـح عبـد الله البـاب و"شـخط" فى الجـيران

وصرفهم وأمسك عادل من يده، وتحدث إليه بصوت خفيض في موضوع غائم في نهايته جملة "بس دلوقتي أحسن"، وسمح له بالدخول، وعندما اتجه إلى المطبخ ليضع الديك، نهره بشدة، وقال له: إنت في بيت يا أستاذ، وأخذه هو ووضعه في المطبخ، وعاد وجر كرسياً وجلس في مواجهة ضيفه الجالس على الكنبة، الجلسة التي تصطدم فيها الركبتان بالركبتين، وقال له: "وإيه يعني لما اتجوز واحدة روسية؟"، ضحك عادل، وسحب مجلة الشبكة القديمة الموجودة منذ زمن جورجينا رزق والمايوهات في الصيف، وشرع في لف سيجارة، وقال له: إنت بدأت "بدري قوي".. وساد صمت، بعد نصف ساعة تقريباً،

سمع صوت مفتاح يدخل في الباب، ودخلت امرأة أجنبية وفي يدها "كرومبة" وفي اليد الأخرى شنطة شبيكة مليئة بالبطاطس، ودخلت مباشرة إلى المطبخ ولم تقل شيئاً، عادل تغير وجهه، وسأل: "هانعمل إيه في الديك وفي الفلوس الباقية؟!" فأجابه عبد الله "رجّعه"، عادل قال بصوت زخم "ينفع كده؟" عبدالله أجاب بحسم "ينفع"، ونزل عليهما نوع آخر من الصمت، لم يتبدد إلا مع دخول الروسية الأربعينية الممتلئة في المشهد، فتحت التليفزيون، وسحبت كرسياً، وضعته في منتصف الصالة بالضبط، وتركت ظهرها في مواجهة الصديقين قال عبدالله "ماحدش هيبجي النهاردة"، سأله عادل "بتتكلموا مع بعض إزاي؟"، أجابه "اكتشفت إن الكلام آخر حاجة" وأضاف "وهتعرف ده بعدين"، الروسية أغلقت التليفزيون بعصبية، وقالت كلاماً - يبدو غاضباً - بالروسية، ودخلت الغرفة الوسطى

وأغلقت خلفها الباب بقوة، عادل قال "عندها بروسترويكا فى دماغها ولا حاجة؟"، عبدالله لم يرد، ولكنه قام مفزوعاً ودخل المطبخ وأتى بالديك، ورماه فى حجر عادل، وقال له بصفاقة "مع السلامة يا أخويا"، عادل ذهب إلى كافتيريا الزمالك القريبة (والتى كانت فى 1992 مشرباً لعدد من الشيوعيين الذين لم يصدقوا بعد أن الاتحاد السوفييتى قد انهار) وحكى لهم ما حدث... وقسموا الديك بينهم وغنوا معاً وطاروا... بعد هذه الليلة اختفى عبدالله، ولكنه شوهد بعد سنوات ينظم المرور بنفسه فى مدينة 15 مايو!

حلم سعيد

سعيد عبد الظاهر، رجل طيب وكريم ونظيف وربما بسبب هذه الصفات لم يشعر بالسعادة، أتم الستين فى أكتوبر 2001، ولم يقبل "التمديد" فى مؤسسته التى حاربته لأنه صادق مع نفسه ومع الآخرين، حياته الأسرية هى الأخرى ليست على ما يرام، لا يتحدث فيها ولا يريد، ولكن المؤكد أنه ترك البيت فى المهندسين، وعاد إلى شقته الصغيرة فى المنيرة، يقول إنها فى جاردن سيتى، ولكنها فى المنيرة، الشقة لا تزيد على ستين متراً، فوّرها" وأصبحت جميلة جداً " يشاهد أصدقاؤه معه فيها مباريات كرة القديم، هو أهلاوى جداً، ومع هذا لا يوجد بين أصدقائه من الأهلاوية غير المخرج المسرحى محسن حلمى وحسام نوح، سعيد يمتلك مكتبة موسيقية عظيمة، وصارت أعظم عندما اقتنع بأهمية التكنولوجيا، استطاع أن يضع أجمل ما غنى عبد الوهاب على "فلاشة" ، فى الشتاء يعيش مع

الأصوات الشتوية أم كلثوم، عبد الوهاب، عبد المطلب، صالح عبد الحى، عباس البليدى، وديع الصافى، صباح فخرى، أنغام، ونجح فى عمل توليفات من الألحان القريبة من بعضها، يذهب إليه أصدقاؤه لأنهم يشعرون بالسلام عنده، هو لا يغتاب أحداً، وفى "قعدته مرحباً" على حد تعبير فؤاد حداد، يمتلك سيارة "فولكس بيتلز" منذ سنة 1980، هو لا يحتاجها الآن، ولكنه يستخدمها فقط لشراء الفول من السيدة زينب والفحم من "حارة الروم" فى الغورية، هو دائماً أنيق يلبس الأحذية المستوردة، يثق فى كل المنتجات المصرية إلا الأحذية، يحب جمال عبد الناصر جداً ويحب السادات أيضاً، ولا يكره الرئيس مبارك ولكنه عاتب عليه، يضع كل الأغنيات الوطنية على فلاشة أخرى، يذيعها على أصدقائه عندما تكون هناك كارثة، فى انتصارات الأهلى "أو المنتخب" "يشغّل" شادية وليلى مراد وعبد الحليم ووردة وسعاد حسنى وهدى سلطان ومحمد قنديل، هى أصوات الربيع والصيف كما يسميها، توقف عن التدخين وهو فى الخامسة والخمسين وعاد إليه بعد غرق العبارة، آراؤه فى الناس تظهر على ملامحه، ولكنه لا يقول شيئاً، هو فقط يريد أن يجد أصدقاءه إلى جواره، المكان لا يحتمل وجود أكثر من خمسة أشخاص و لا يتدخل إلا إذا ارتفع الصوت، يقول دائما "عندنا ثانوية عامة يا أساتذة" ويكره الحديث الحاد، لأنك فى أى مكان ستجد من يتحدثون بصوت عال فى القضايا نفسها، التوريث، الفساد، الأزمة، دائماً توجد أزمة يتحدث الناس فيها، وفى المرات التى يتحدث فيها يستوقفه صديقه التاريخى عبده على ويقول له "دماغك يا سعيد!" حتى لو كان الحديث عن

المرور، لا تعرف لماذا يفعل معه هذا؟! محسن وحسام كانا يشعران بالإستياء. ويعرفان أنهما أصدقاء وبينهما كلام وحكايات جانبية تمنعهما من التدخل، إلى أن وقعت الواقعة، وتوقف سعيد عن الرد علي عبده فى التليفون، وذهب إليه ولم يفتح له الباب ، لابد وأن تذهب إليه بموعد مسبق، وعندما سأله محسن عن السبب، قال إنه حلم حلماً، بعده لا يمكن أن يكون عبده على صديقا، كيف؟! قال حلمت أننا على الجبل، على أعلى نقطة فى جبل موحش، كان عبده يجلس على الأرض "مربعا"، وأمامه إناء كبير يحتوى على شيء يشبه العجين، وكان يلف من هذا "الشيء" سجائر، تستطيع أن تأكل وتدخن منه، أعطانى واحدة، وقال لى أجلس جنبى فرفضت، ورحت أتذوقها، وفجأة وقعت، ولم أجد شيئاً غير صخرة تتحرك أمسكت بها وأنا أصرخ "الحقنى يا عبده" ولكنه نظر إلىّ وأنا على وشك السقوط وقال لى "دماغك يا سعيد!"... وقال سعيد أيضاً "هل هذا صديق فعلاً؟" محسن حلمى وحسام قررا عمل "قعدة صلح" وحكى سعيد الحلم" فقال له عبده: ألم أقل لك ونحن على قمة الجبل أجلس جنبى؟ أجابه: حصل.. فقال له عبده "دماغك يا سعيد!".

تاح

اسـمه عبـد الفتـاح، ويدلـلـه أصدقـاؤه بـ "تـاح"، وزنـه 145 كيلـو جرامـاً ويقسـم صديقـه سـمير "بتـاع شـارع المحطـة" أنـه شـاهده ذات مـرة وهـو "يتخـن" قبـل سـنوات، وعندمـا قـال لـه ذلـك خاصمـه، والـذى يخاصمـه تـاح يخسر كثـيراً! وربمـا يخسر أصدقـاء كثيريـن معـه، يعـانى دائمـاً نـدرة الملابـس التـى تلائمـه، ومـن انخفـاض كميـات الطعـام فى المطاعـم، ومـن عـدم وقـوف الميكروباصـات والتاكسـيات لـه، يدخـن الشيشـة بشراهـة، وإذا شـاهدته وهـو يضـع المبسـم فى فمـه وينفـث الدخـان، تشـعر أنـك أمـام "عربيـة بطاطـا"، تـاح قليـل الـكلام، ويسـتمع إلى مـن يكلمـه باهتـمام مبالـغ فيـه ولكنـه لا يقـول شـيئاً، وإذا تحـدث تتلبسـه حـالات نـادرة مـن الخـبرة والـكلام الممـل عـن أهميـة تنـاول فصـين مـن الثـوم عـلى الريـق، بالإضافـة إلى وصفـات البلغـم والـكلى والصحـة الجنسـية، تـاح فى الأربعـين ولم يتـزوج يمتلـك والـده محـلاً صغـيراً للبويـات فى الجيـزة، يذهـب إليـه تـاح بعـد صـلاة الظهـر

ويغلقه بعد أذان العشاء، ويجلس فى المقهى ينتظر تليفونات، يقرر بعدها أين سيذهب؟، مرة إلى المهندسين، مرات إلى وسط البلد، هو لا يحب مدينة نصر ولا يرتاح لسكانها، هناك من يبحثون عنه لأنه مريح، و"شِيك" ووجوده معهم يحقق ضمانات غامضة، فهو شخص مهاب تستطيع أن تدخل به أى مشرب عام وتتأكد أنك ستعامل باحترام أو تأخذه معك فى عزاء أو لحل مشكلة، تاح لا يضع يده فى جيبه أبداً لأنه معزوم، وإذا جلس إلى مقهى يعذب الجرسونات بكثرة الملاحظات التى يعلن عنها بدءاً من الكوب غير النظيف والفحم وحتى الكراسى البلاستيكية التى لم تعد تحتمل فيضطر لأن يضع كرسيين فوق بعضهما، الذين يهاتفون تاح بعد العشاء عندهم مشاكل، أو يريدون "أذنين" يصغيان فحسب. يحب تاح المقاهى التى تكون فى الشارع، وإذا مرت سيدة جميلة تشعر أن الدموع ستنزل من عينيه، ويزداد معدل سحب الدخان ويضغط على "اللى" بعصبية ملحوظة: هو لا يتحدث عن عالمه الخاص، وغير مسموح معه بذلك، ذات مساء لمح واحدة تقترب من المقهى، خطفته مشيتها وإيقاع جسدها وتزامن مرورها على الجانب الآخر مع مرور سيارة "شيفروليه" دبابة. فما كان منه إلا أن شتم السائق بصوت عال "أدهش الجميع" وقال له "خللى بالك يا حيوان.. يابن الكلب"، توقف السائق النحيف، وترك السيارة فى نهر الشارع، واتجه إلى تاح وراح يضرب فيه ضرباً يذكرك بالمشهد الأخير من فيلم "سواق الأتوبيس" كان مستسلماً تماماً ولم يتدخل أحد لفض المشاجرة وتركه السائق على الأرض، وقبل أن يعود إلى سيارته، قال له: "وكل ما أشوفك هضربك" كان ذلك

فى 2002 ولا يمكـن نسـيان مشـهد تـاح وهـو منـصرف مصحوبـاً بتعليقـات "القهوجيـة" ووجهـه فى الأرض، وشـعوره بالهزيمـة.. فى صيـف 2007 لمحـه حسـام نـوح يسـلك الطريـق المعاكـس لـه فى إشـارة مـرور ميـدان مصطفـى كامـل.. والتقـت عيناهـما.. وابتسـم لـه .. وابتسـم "تـاح" أيضـاً.

الموتور

الأستاذ كمال شخص مهذب جداً، بعد أن خرج إلى "المعاش المبكر" فى أوائل التسعينيات وهو منظم لدرجة "تخنق"، هو يعيش فى حلوان وينزل وسط البلد ثلاث مرات أسبوعياً. متزوج من إمرأتين إحداهما و"أجملهما" سودانية، يخرج معهما يوم الجمعة. تشعر وهو بينهما أنك أمام شخص طيب جداً، لطيبته صوت خفيض. هو لا يتحدث عن بيته أبداً، ولكنك - إذا كنت تعرفه - تقابله فى السينما يشترى "فيشار أو حاجة ساقعة" يرحب بك ويعرفك على زوجتيه، دائماً يقوم بعمل شىء، عنده ولدان يحملان اسمه، أحدهما أسمر والآخر وسيم بعينين زرقاوين وأكبر سناً، دخل الجامعة سنة 1999 ، الأستاذ كمال لا يحب الصخب، عمله فى مصانع حلوان وفر له صداقات جميلة فى أماكن متفرقة من القاهرة يعرف رسامين ونقابيين وروائيين وشعراء وصحفيين، لا تشعر بوجوده وهو بين أصدقائه، "يكرس" جهده لخدمة الآخرين، يعتبر نفسه يسارياً بشكل أو

آخـر، لا يدعـى أحـد أنـه مـن أصدقائـه المقربـين، ولكنـه يكـرم الجميـع دائمـاً فى المناسـبات برسـائل عـلى الموبايـل، حـكى النقـابى عـز الديـن أنـه لسـنوات طويلـة يذهـب إليـه أيـام الأربعـاء يحمـل معـه كل مـرة أربـع زجاجـات بـيرة يشربهـا غالبـاً بمفـرده، عـز الدين مثقـف كبـير، رتـب غرفـة "بمنافعهـا" عـلى سـطوح منـزل والـده فى الجيـزة، فى شـارع متفـرع مـن شـارع المحطـة، يذهـب أصدقـاؤه إليـه، وليـس مهـما أن يكـون موجـوداً، كل الأشـياء أماكنهـا معروفـة، البوتوجـاز والثلاجـة والشيشـة، سـتجد طعامـاً فى أى وقـت وسـتجد موسـيقى متنوعـة و"مأرشـفة" الأسـتاذ كـمال لاحـظ شـيئاً غريبـاً - وصحبـة عـز أيضـاً - وهـو نفـور الحمامـة البيضـاء منـه. هـى حمامـة تحـب النـاس تحـط عـلى السـور الواطـى الـذى يطـل عـلى الحـارة الضيقـة. تتأمـل الوجـوه المشـغولة غالبـاً بالغنـاء أو الـكلام الطيـب، دائمـاً الصعـود إلى سـطوح عـز يعنـى أنـك سـتكون فى حـال أفضـل، وبعـد ذلـك تنـزل الحمامـة عـلى الأرض وتتحـرك براحتهـا بـين أقـدام الحضـور، الذيـن لا يزيـد عددهـم عـلى ثلاثـة أو أربعـة عـلى الأكـثر، فى وجـود الأسـتاذ كـمال لا تنـزل عـلى الأرض، وتختفـى إلى أن ينـصرف نهائيـاً، وهـذا الموضـوع تـرك بداخلـه جرحـاً عميقـاً. خصوصـاً بعـد أن تـم تـداول الموضـوع فى بقيـة الدوائـر.. أصيـب باكتئـاب شـديد وبـدأ مرحلـة جديـدة فى الحيـاة، أصبـح متدينـاً، ويذهـب إل أوليـاء الله، وتوقـف عـن شرب البـيرة، ولكنـه لم يتوقـف عـن "تكريـس" جهـده فى خدمـة أصدقائه، لـه أصدقـاء فى "الدويقة" يذهـب إليهـم، "ليـضرب حجريـن" وحامـلاً البسبوسـة أو الكنافـة أو الفاكهـة، يذهـب إليهـم بعـد صـلاة العشـاء مـرة أو مرتـين فى الأسـبوع، يـترك سـيارته "الفيـات 131" عـلى الأوتوسـتراد، يمـشى فى

اتجـاه الجبـل، هـو يحـب الصحبـة والتدخـين، ولـه تاريـخ طويـل فى المقاهـى الأخـرى، ومـع "الليـالى".. خـرج ذات مـرة ليسـتقل سـيارته. فتـح البـاب، وضـع المفتـاح وحـاول تدويـر العربيـة، لم تنطـق معـه، نـزل وفتـح "الكبـوت" وكانـت المفاجـأة، لقـد سرق الموتـور، نعـم، نجـح شـخص مـا أو مجموعـة أشـخاص - غالبـاً يعرفـون خـط سـيره - فى سرقـة موتـور سـيارته. الحـادث "فوقـه" "بفتـح وتشـديد الـواو" ذهـب إلى قسـم الشرطـة. قـال لأمـين شرطـة يجلـس إلى مكتـب أريـد أن أحـرر محـضراً فـرد عليـه: خـير؟.. قـال موتـور سـيارتى سرق!.. اعتـدل الأمـين وسـأله: وأيـن كان الموتـور؟ أجابـه: فى "العربيـة" كان فى المكتـب عـدد مـن النـاس، راحـوا يضحكـون وتنامـى الضحـك إلى أن أصبـح ضحـكاً هيسـترياً نظـر إليهـم الأسـتاذ كـمال وانسـحب مـن المـكان فى مشـهد مسرحـى حزيـن.. ولم يظهـر مـن سـاعتها. ولم يرسـل منـذ 2005 رسـائل عـلى الموبايـل.

جلال

التوسع الذى طرأ على أعمال جلال لم يغير عاداته، ولم يمنعه من الذهاب إلى مقهى الطهاة في باب اللوق فى الواحدة صباحاً كل يوم، لم يعد يعمل بيديه، ويعمل عنده أكثر من عشرة صنايعية، على أربع عربات كبدة يمتلكها فى وسط البلد، بعد أن كان شريكاً فى واحدة فى شارع شامبليون، كيف حدث هذا؟.. هذا ما حدث!، جلال يحب الغناء ويمتلك صوتاً جميلاً، ويقلد أحمد عدوية، وبعد أن يفرغ من حساباته التى يدونها فى أجندة صغيرة، وبعد أن يحاسب موردى الكبدة والسجق والزيت والثوم والطرشى فى سوق باب اللوق، يتجه إلى بار جمايكا فى شارع شريف ليشرب "الفات 20"، ويغنى وهو "سايب أيده"، بصحبة صديقه المسرحى حسين، والذى كان يسكن معه هو وآخرون فى شقة مشتركة فى حارة برادة بالجيزة أوائل الثمانينيات، حسين بلدياته من بلقاس، وسعيد بنجاحات جلال، ويقترض منه دائماً، وهو من النوع الذى

يـرد مـا عليـه، ويعتـبر نفسـه مستشـاراً لـه، وبكـون إلى جـواره فى الأزمـات، وهـو الـذى اقـترح عليـه أن يغـير مـن هيئتـه ويتخـلى عـن لبـس الصديـرى البلـدى تحـت القمصـان، وأن يلبـس أحذيـة مقفولـة، مـع بدايـات 1992 صـار جـلال شـخصاً آخـر، صبـغ شـعره، رغـم أنـه صغـير السـن ولم يظهـر شـعر أبيـض بعـد، اشـترى سـيارة مـازدا، وراح يغـير الأماكـن التـى كانـت تتعامـل معـه "ككبدجـى"، وتوقـف عـن تدخـين الكليوباتـرا، وتعـرف - عـن طريـق حسـين - عـلى ممثلـين نصـف معروفـين وموسـيقيين وأدبـاء، هـو يحشـش طـول الوقـت، ويسـافر كل جمعـة (يـوم راحـة عرباتـه) لـشراء مـا يلزمـه مـن الحشـيش مـن باسـوس أو أبـو الغيـط أو الشلشـلمون أو منيـا القمـح هـو يبـدو واثقـا مـن نفسـه، وهـذا غـير صحيـح، لأنـه مـن النـوع الـذى يثـير رجـال الأمـن فى أى مـكان، وعنـده مـرارات مـن الحكومـة تظهـر عندمـا يكـون شـارباً، الحكومـة التـى قبضـت عليـه أكـثر مـن مـرة رغـم أوراقـه السـليمة! ربمـا بسـبب مشـيته المسـتريبة وكـثرة تلفتـه، ذات جمعـة فى ينايـر 1993 عـاد (هـو وحسـين) مـن باسـوس تمـام التـمام التـمام، وفى جيبـه أوقيـة حشـيش لبنـانى فاتـح مرمـل، أقنعـه حسـين بمشـاهدة مسرحيـة للنجـم سـعيد صالـح عـلى مـسرح فايـز حـلاوة (ميامـى)، لأن الفنـان سـعيد طرابيـك جـاره فى السـيدة زينـب وعـده بتذكرتـين سـيجدهما فى شـباك الحجـز، حسـين كان ينـوى أن يذهـب هـو وحبيبتـه، ولكنهـا لم تـرد عليـه، جلسـا فى الصفـوف الأولى، وكانـت المـرة الأولى التـى يدخـل فيهـا جـلال المـسرح، كان مبهـوراً ومسـطولاً ومسـتريباً وقلقانـاً وفرحانـاً، أثنـاء العـرض، دخـل المـسرح مـن بـاب الجمهـور ضابـط وثلاثـة مخبريـن، أوقفـوا العـرض، وقـال الضابـط

لسعيد صالح: ألم نقل لك إن الخروج عن النص ممنوع وسبق أن حذرناك؟!، أصيب جلال بالهلع، الهلع الذى غطى على المحيطين به، حاول حسين تهدئته، فقال له جلال وهو يرتعش "والحشيش اللى معايا؟"، أجابه حسين: "هاته"، وأخذه ووضعه فى جيبه بهدوء، قام جلال من مكانه، ونظر إلى باب الخروج وقصده بأقصى سرعة، قبل أن يعرف أن الضابط هو الفنان طلعت زكريا، وأن ما حدث هو جزء من العرض، اختفى جلال تماماً ولم يعد يظهر، وعرف حسين أنه باع عربات الكبدة ليتفرغ للمطعم الكبير الذى افتتحه فى مكان ما فى المهندسين، حسين بدأ يظهر فى أدوار صغيرة فى السينما والتليفزيون، وتخلى عن طموحه كمخرج مسرحى، لم يقتنع أحد بأفكاره عن المسرح المتقشف، بعد عامين أو يزيد، تقابلا مصادفة فى "أبو على" بهيلتون النيل، كان جلال أنيقا مثل تجار المجوهرات والسيارات، الأناقة التى تعتمد على إيهام الآخرين بأن "الغالى تمنه فيه"، وكانت بصحبة جلال امرأة جميلة، يطل النهم من عينيها الواسعتين، وكان حسين (الذى تستطيع أن تقول أنه أصبح معروفاً) يرد على تحيات الناس بين الحين والآخر، لم يتحدث الصديقان كثيراً، ربما لأن حسين قال له - قبل أن يسأل عن أحواله - إن الضابط كان طلعت زكريا، وعندما ذهب جلال إلى الحمام (البعيد) قالت المرأة لصديقه كلاماً مبتذلاً، وطلبت رقم تليفونه وقالت كلاماً لا يليق فى حق رفيقها، وعندما عاد الحبيب، قال له حسين وهو يشير إلى فيفى، "صاحبتك عايزه تعلقنى يا جلال؟!"، فثار عليه بالسباب، وأوشك على ضربه، وعيره بأن "لحم أكتافك من خيرى".. وهى جلست تبكى!

ادريس

إدريس ليس ليبيا كما يعتقد الجميع، واسمه ليس إدريس، هو من قليوب التى يعيش فيها مع أطفاله الثلاثة، اسمه الحقيقى عادل، فى بداية حياته كان شاعراً يكتب بالعامية، وكانت نوايا قصائده طيبة، لكن منسوب الشعر فيها قليل، كان ينظر إلى شعراء الشعر الحديث على أنهم جزء من مؤامرة كونية تستهدف مصر، وكان يتغنى بالوطن "عمال على بطال" ويهاجم "الوالى والعسس بسبب اضطهادهم للرعية". هو تخرج فى معهد التعاون سنة 1982 وكان قد التحق به بعد دبلوم الزراعة. عادل يدخن الكليوباترا السوبر ويعتقد - مثل كل الذين يدخنون السوبر - أنها أعظم سيجارة على وجه الأرض. قبل زواجه عاش عامين فى بنى غازى، وأحب الليبيين واعتبرهم محظوظين لأن القذافى يحكمهم، لأنه لا يوجد بيت تشكو ثلاجته من قلة اللحوم، واستطاع أن يتقن اللهجة الليبية، لدرجة أنها تستولى عليه عندما يكون مبسوطاً شويتين، وهو

ما دفع عماد ابن خاله والذى يعيش فى العمرانية الغربية إلى استثماره فى الكباريه الذى يعمل فيه بالهرم، عادل خبير فى الأغانى الليبية خصوصاً الوطنية منها، ويجيد الرقص البدوى، وكان الاتفاق هو أن يأتى عادل وثلاثة أو أربعة من أصدقائه "عادة" ما يكون بينهم فهمى الزجال الحلمنتيشى، ثم تنضم فتيات المكان بعد ذلك يذهب إلى الكباريه بسيارة فارهة، تخطفه من أمام مسجد نصر الدين فى الواحدة صباحاً، طاولته فى مكان مميز على "البيست" عندما يدخل المكان يتوقف الغناء على المسرح، وتستقبله الفرقة بأغنية ملحن الثورة محمد حسن: "جميلة أنتى بمعمر وكتاب خضر "الأخضر يغنى"، ويرمى السلامات ونظرته لأعلى مثل الأخ العقيد، هم يجيئون له بأكوام من الفلوس كل ربطة بها 500 جنيه "خمسات" ويبدأ رمى "النقطة" من مكانه المختار على رأس الطاولة، عادل يشرب "الأولد بار" بمفرده، وغير مسموح لأحد الاقتراب من زجاجته، وضيوفه يشربون عادة البيرة أو "الريد ليبول"، وظيفته فى المكان هى تسخين الليلة ودفع السعوديين والكويتيين تحديداً إلى رمى الفلوس على المغنين والراقصات، هو ينقط أكثر منهم جميعاً، وتشعر وأنت هناك أن السماء تمطر "خمسات جنيهات"، وعندما يأخذه الحماس ويدفع بالمزيد، تتوقف الموسيقى كل مرة ليغنى المطرب أو المطربة "جماهيرية جماهيرية" أو أغنية مماثلة، مما يدفع الأشقاء الخليجيين إلى فك فلوس أخرى، لأنه لا يجوز أن يتفوق عليهم أحد الليبيين، ولأن نشيدهم الوطنى لابد أن يكون حاضراً فى هذه اللحظة. عادل لا يصعد إلى المسرح إلا مع بدايات الصباح، حاملاً عقداً به ثلاثين

دولاراً، فى اللحظة التى لا يفرق فيها السكر بين الدولار والمئة، يضعه على "النمرة" الرئيسية، وعادة ما تكون مغنية ساخنة بضاعتها الإيحاءات الجنسية، الأمر الذى يدفع الأشقاء إلى التنقيط بالدولارات، مع الموسيقى الوطنية للسعودية والكويت والإمارات والبحرين، فى النهاية يحصل عادل على 150 جنيهاً وهو مبلغ معقول فى سنة 1990"، بخلاف ما "خنصره" من "الخمسات" التى ينقط بها وتسقط عليه، وتحدفه بعد ذلك السيارة الفارهة إلى أقرب مكان سيجد فيه "ميكروباص".

غزو العراق للكويت فى أغسطس 1990 رفع سعر عادل فى سوق الكباريهات وارتفع أجره من 150 إلى ألف جنيه فى الليلة الواحدة، واشترط وجود سيارة فارهة تأتى به من قليوب وتعيده، وانضم إلى طاولته ليبيون حقيقون أعجبتهم فكرة انتحال عادل لشخصية إدريس الليبى، وكان وجودهم مقلقا لإدارة المحل، لأنهم يرفضون دفع الحساب ويهددون طوال الوقت بكشف شخصية المنتحل، كانت الأجواء متوترة ويوجد عنف مخبأ فى مكان ما، ورقص عنيف، ولكن "النقطة" الخليجية تتضاعف، وتضاعف الرواد وعاش الملهى أزهى أيامه، وعادل عاش متربعا على عرش الأغانى الوطنية الليبية ورمى الفلوس على الراقصات وحوله الحسناوات يقمن بتدليعه آخر دلع، إلى أن جاءت ليلة فى أكتوبر، ودخل شاب وسيم بصحبة فتاة فرنسية فى غاية الجمال، جلس معها إلى طاولة عالية بعيداً عن "البيست"، هو ليس فى النوع الذى "ينقط"، وغير مشغول بالصراعات الدائرة طوال الوقت بين الليبيين والخليجيين، هو

يريـد أن يفـك دماغـه وسـط أكـبر ضوضـاء ممكنـة، ويتحـدث إلى صديقتـه التـى كانـت مبهـورة بالمـكان، كانـا فى حالهـما، سـأل عـادل عـن جنسـيته واسـمه، وعـرف مـن الجرسـونات أنـه كويتـى ويدعـى عبـدالله، وكان فى معركـة مـع طاولـة سـعودية منـذ أول الليـل، فقـرر أن "يمـسى" عليـه وعـلى الفرنسـية لجـر رجلـه إلى "التنقيـط"، وقـام بنـثر أكـثر مـن ألفـين جنيـه تحيـة للكويـت ولعبـد الله ولفرنسـا وميـتران والصبـاح، انتقـل عبـدالله إلى طاولـة عـادل، وشـكره، وقـال لـه بمحبـة أنـه لا يحـب هـذه الممارسـات، وأنـه سـيدفع لـه المبلـغ الـذى "تحـاه" بـه ويعـود إلى مكانـه، ولكـن عـادل رفـض، وأكـد لـه تضامنـه مـع كافـة الشـعب الكويتـى فى محنتـه، وفجـأة سـأل ربيـع الليبـى النحيـف ذو الشـعر المكنـوش عبـد الله "انـت مـن ويـن؟" أجابـه "مـن الكويـت" فقـال ربيـع بسـخرية "أنـا أول مـرة أشـوف كويتـى بيتكلـم فرنسـاوى" فسـأله عبـد الله "وانـت مـن ويـن؟"، رد عبـدالله بزهـو وهـو ينظـر إلى الفرنسـية "مـن ليبيـا" فقـال عبـد الله "أنـا أول مـرة أشـوف واحـد ليبـى"، فضحـك الجرسـونات الذيـن يحيطـون بالطاولـة، الأمـر الـذى دفـع ربيـع إلى رمـى الـكأس مـن وجـه عبـدالله، الـذى قـام ولـف وضرب ربيـع وكومـه عـلى الأرض، وعندمـا هـم عـادل للدفـاع عـن "بلدياتـه" (أمـام النـاس) تـم ضربـه هـو الآخـر، وانتقـل الجميـع إلى قسـم الهـرم، وفضـح أمـر عـادل، وخرجـت الأمـة العربيـة مـن القسـم وبقـى هـو عـلى ذمـة التحقيـق، وأخـذ سـتة شـهور سـجنا بتهمـة انتحـال شـخصية "عربيـة"، خـرج بعدهـا محطـما، لا يريـد أن يذهـب إلى مـكان، ولا يريـد أن ينتقـم مـن أحـد، ولكنـه كتـب كتابـاً عـن تجربتـه فى الحيـاة.. تراجـع عـن نـشره.

باقة

ترك صلاح الشارع، لكنه لم يتخل عن الشقة التى تربى فيها، يذهب كل فترة، ويفتح شبابيكها وينفض الغبار، ويشغل إذاعة القرآن الكريم ويبخرها، وربما ينام ساعة أو ساعتين، قبل أن يذهب إلى المقهى ويقضى ليلة مع أصدقاء طفولته وصباه وما تبقى من أصدقاء والده النقابى - رحمة الله عليه - يركن سيارته فى باب اللوق، ويخرم من شارع البلاقسة، بعد أن يكون اشترى ثلاث علب حلوى، واحدة للجارة التى فقدت بصرها بسبب خطأ طبى، وواحدة لقدرى والثالثة لعمال المقهى، ويكون حريصاً على أن "يمسى" "بأنصاص قروش حشيش" على كل "الهوائيين" فى الشارع. والذين تتهلل ملامحهم عند رؤيته، وينصتون إليه يفرح وهو يتحدث. هو مخرج سينما تسجيلية، اتجه للعمل فى التليفزيون مخرجاً ومعداً لبرامج الأطفال، وحصل على عدة جوائز، طموح وموهوب ومسالم، ذهب إلى عابدين كما يفعل "مرة كل شهر أو شهرين" فى أول أبريل

1993، وشـم الرائحـة التـى كان يحتاجهـا، و"تمـم" عـلى تفاصيلـه الصغـيرة، وقبـل أن ينـصرف وجـه الدعـوة إلى قـدرى وحسـين وسـالم لحضـور عيـد ميـلاده بعـد أسـبوع، وكتـب لهـم العنـوان فى شـارع فاطمـة رشـدى بالهـرم، قـدرى عـلى مشـارف السـتين مـن عمـره، ممتلـئ، حريـص عـلى معرفـة كل شيء، وعـلى صلـة وثيقـة بالقسـم والضبـاط والأمنـاء، ويلجـأ النـاس إليـه عندمـا يكـون بينهـم وبـين الحكومـة مشـاكل، وهـو أيضـاً مـن "قبضايـات" الحـزب الوطنـى فى المنطقـة، لا تسـتطيع أن تكرهـه، ولا تسـتطيع أيضـاً أن تأمـن لـه، ولا يمكــن تجاهلــه بــأى حــال مــن الأحــوال، حســين كان صديقــاً مقربـاً لوالـد صـلاح، يمتلـك محـل "مكتبـة وخـردوات"، يجلـس فيـه بعـد أن سـوى معاشـه، عـلى مشـارف السـتين، وسـيم، حـكّاء ماهـر، يجيـد الغنـاء ويحفـظ الكثـير مـن الـتراث وهـو مـن أصدقـاء نجـم والشـيخ إمـام، ومـن رواد الـكاب دور والمخـزن وقـبرص وهاليجيـان، أمـا سـالم فهـو الصديـق الحقيقـى لصـلاح فى عابديـن وابـن أيامـه، وبينهـما محبـة صافيـة، ذهـب كل واحـد بمفـرده، قـدرى لبـس بدلة بيضـاء ولمـع نفسـه، كان هنـاك قبـل الجميـع، الشـقة مـا شـاء الله واسـعة وبهـا زرع غزيـر، صالتهـا تسـع عشريـن شـخصا يجلسـون مسـتريحين، ويوجـد طبـاخ وسـفرجية اسـتأجرهم صاحـب الليلـة لهـذه المناسـبة، حسـين تجاهـل قـدرى تمامـا، وأنشـغل بمتابعـة التليفزيـون، إلى أن بـدأ الضيـوف فى التوافـد، الذيـن يوجـد بينهـم ممثلـون وممثـلات وملحنـون وأدبـاء وصحفيـون، يعـرف بعضهـم حسـين، أمـا قـدرى فقـد انشـغل بـشرب البـيرة والنظـر إلى حسـين بكراهيــة معلنــة، وشــيئا فشــيئا "فكــت" الليلــة، وبــدأ الغنــاء، وتجـلى العـم حسـين وغنـى "الحبيـب للهجـر مايـل" لسـيد درويـش

و"قلبى حبك" لحن عبد العظيم عبد الحق وغناء اسماعيل شبانه، وانتبه الذين لا يعرفونه إلى قيمته وروحه ورقته، وبدأت بعض السيدات يحطن ويلتصقن به، وقدرى يواصل "العب" وغير البيرة ودخل فى المشروبات الساخنة المتنوعة المتاحة، وفى لحظة غائمة أمسك بالكلام وبدأ يحكى نوادره فى الحياة والسياسة والنسوان، وكان حريصا على عدم التوقف، والحضور غير مستمتعين بما يقول، ترك حسين المكان ودخل إلى غرفة - هى المكتب - وشيئاً فشيئاً تبعته الجميلات ثم معظم الحضور، ولم يتبق مع قدرى - الذى أحمرت عيناه أكثر - غير سالم وصلاح، واكتشف فجأة أنه كمن يكلم أشباحاً، هب من مكانه، ودفع باب المكتب بقدمه، وانهال على حسين بالشتائم، وعايره بأنه ضلل القسم أكثر من مرة حتى لا يقبضوا عليه، وبأنه شيوعى كافر وابن زنى، وحسين ينظر إليه كأنه يشاهد كائنا غريباً، وعندما تمادى قدرى وقرر الاقتراب منه، قذفه حسين بفنجان قهوة كان فى يده، وأغرق بدلته البيضاء، وضحك الجميع، فرد عليه بزجاجة فارغة تفاداها حسين، وكان ضرورياً لكى يصل قدرى إلى خصمه أن يصعد على المكتب لكى يمسك به، وفلتت قدمه، وسقط على الأرض، وحدثت - بسبب جسده الضخم - كسور متنوعة، فى اليوم التالى ذهب حسين وصلاح وقدرى وسالم إلى مستشفى أم المصريين، كانت ساق قدرى اليمنى فى الجبس ومعلقة فى الهواء، حسين أخذ معه "وردا" وضعه جنبه على السرير وقال له "سأكون أول وآخر واحد فى حياتك يجيب لك ورد... لأنك هاتفضل طول عمرك حمار".
ولأول مرة بانت على ملامح قدرى علامات طيبة... قديمة.

الصياغة

مصطفى أول من سكن فى شقة بمفرده سنة 1986، فى "أستديو" على سطح عمارة ترى البورصة وشارع قصر النيل، وترك بقية الأرياف فى شارع سعد زغلول بالجيزة، فى الشقة التى تستطيع أن تدخل إليها أيضاً من شارع الصناديلى، إذا كنت خائفاً من الدائنين الذين يصطفون فى شارع سعد... كان قد وجد عملا إضافيا بجوار عمله كمدرس فى بشتيل، فى مكتب إحدى الصحف الخليجية بوسط البلد، يعيد صياغة الموضوعات الثقافية والفنية ويكتبها أيضاً على الآلة الكاتبة، وكان العائد المادى معقولاً جداً، جعله يفكر فى الزواج من بنت العم محمود سائق التاكسى الضحوك، والذى يشبه الفنان محمد شوقى فى كل شىء، والذى أصبح صديقاً لشلة الأرياف التى تلتقى آخر الليل فى بار الأنجلو بشارع شريف، مصطفى من المنوفية، ويمتلك صوتاً عذباً وأذناً موسيقية وإحساساً فطرياً رائعاً بالغناء، ولا يريد أن يصطدم بأحد بالإضافة إلى ذلك فهو

يسـارى مثقـف منحـاز بغبـاء لطبقتـه، ويقـوم بـأى عمـل يسـند إليـه بكفـاءة وإخـلاص، ويحبـه النـاس، ولـه صداقـات متنوعـة، مـع ممثلـين ولاعبـى كـرة قـدم ومخرجـين وكتـاب ومثقفـين، لا أحـد يعـرف كيـف ومتـى كونهـا؟، هـو مـن النـوع الـذى تفـرح عندمـا تـراه، والوظيفـة الجديـدة زادتـه توهجـا، وجعلتـه مطلوبـاً فى سـوق العمـل، وهـو الأمـر الـذى أزعـج مديـر مكتـب الجريـدة الخليجيـة، والـذى يشـبه سـماسرة المـواشى المسروقـة، والـذى اسـتكثر عـلى موظـف عنـده حـب النـاس لـه وصداقاتـه مـع نجـوم، فقـرر "لـوى" ذراع الشـاب الطمـوح الـذى فتـح بيتـا وأنجـب مريـم ورتـب حياتـه عـلى دخلـه الإضـافى، وذات يـوم فوجـئ مصطفـى أنـه مفصـول، تـم التعامـل معـه بقلـة ذوق، ذهـب إلى مسـجد قايتبـاى الـذى يحبـه، صـلى العـصر هنـاك، وجلـس عـلى المقهـى المقابـل، سـاهما وحزينـاً، يدخـن، وانسـحب وبداخلـه إحسـاس موجـع بالهزيمـة، لـكى يركـب شـيئاً مـن الدراسـة يحدفـه إلى أى مـكان قبـل طلوعـه صـلاح سـالم قابلـه صديقـه الممثـل النبيـل محمـود، الـذى كان ذاهبـاً إلى المقهـى نفسـه، فتـح لـه بـاب سـيارته الرينـو، وعـرف مـا حـدث، وأخـذه إلى أحـد فنـادق النجـوم الخمـس، حيـث "سـويت" تحـت أمـره، حجـزه لـه رجـل عـمانى لم يـزر القاهـرة قـط، ومـات أبـوه منـذ سـنوات بعيـدة، وملامحـه تشـبه ملامـح محمـود إلى درجـة جعلـت الرجـل الـثرى يفكـر فى إحيـاء ذكـرى والـده بعمـل مسلسـل عـن حياتـه يمثلـه الشـبيه، بالطبـع لم يخـرج العمـل، مصطفـى اتصـل بحـماه وحـكى لـه، وقـال لـه: خـذ البنـت وأمهـا عنـدك أيـام، وجلـس فى الفنـدق شـهراً كامـلاً وسـط كتـاب سـيناريو وممثلـين وغنـاء وفـرح، وبسـبب معرفتـه بالإنجليزيـة تعـرف عـلى شـخص فتـح لـه بـاب

رزق جديداً، وهو تعليم العربية لدراسيها من الأمريكان الذين تكاثروا في القاهرة نهاية الثمانينيات، وسافر بعد ذلك إلى هناك، وصارت ابنته مريم عروسا و"تفرح"، ويأتي كل عامين لو ثلاث، يلتقي شلة الأرياف، والتي أصبح كل عضو فيها ذا شأن، ومات العم محمود، وأصبح سمسار المواشي المسروقة شخصا مهما.

في زيارته الأخيرة في 2010، اتفق مع أصدقائه على اللقاء في بار الأنجلو، وذهبوا إلى هناك، ليكتشفوا... أنه تم إغلاقه!

المخرج والرسام

المخرج والرسام صديقان قديمان، بينهما حكايات وليال لا حصر لها، هما من علامات الموهبة والفرح فى وسط المدينة. يظهران فى الأماكن العامة بعد منتصف الليل، دخولهما يعنى أن السهرة بدأت، ناجحان متحققان، وجودهما على طاولة واحدة يعنى أن ارتجالا عظيماً سيسوق الليلة فى اتجاه البهجة، يختلفان فى كل شىء لكنهما يعرفان أقدار الناس، ولم يتورط أحدهما فى الحسابات التى حكمت العلاقات "الثقافية" طوال عقد التسعينيات المخرج يبدو قصيراً، وهو ليس كذلك، والرسام يبدو طويلا وهو بالفعل كذلك، الأول كان منحازاً فى أفلامه إلى شىء لا تصل إليه الكاميرا. شىء غامض فى قلوب أبطاله الذين يذهبون إلى مصائرهم بالصدفة، ويعودون فى آخر العرض وقد زرعوا الأرض خيراً وموسيقى، والرسام حمل على كتفيه ملامح المصريين بعد أن اختطفها من الواقع، و"بروزها" فى إطارات

لتعيش خارج الواقع، هو مشغول بتخليد الإيماءة وفك شفرة الذاكرة.

ذات مساء قال المخرج للرسام: إن ابنه يريد أن يشترى له كلباً وأنه لا يفهم فى الموضوع، دائماً يضطر الآباء إلى التنازل عن بعض القناعات، الرسام عنده كلب اشتراه لإبنه ولا يريده، أحياناً يتراجع الآباء عن قرارات مثل هذه، اتفقا على السعر وبالفعل تم "التسليم والتسلم"، وذهب الكلب إلى مالكه الجديد، كان كلباً وجميلاً بدأ فى أول الأمر خفيف الظل وغير مزعج، فى اليوم التالى بدأت المشاكل، حط مكانه، وفجأة قال الطبيب أنه مصاب بمرض عضال، المخرج الحنون دار به على أطباء البلد، وحالة الكلب تتراجع، صاحبه الجديد شعر بمسئولية تجاهه، ولم تكن الـ 600 جنيه التى دفعها هى المشكلة، لأنه دفع أكثر من ذلك لكى يراه سليما، كان يأتى آخر الليل يحكى عن تفاصيل ما دار فى عيادات البياطرة وكان الرسام قد سافر إلى الخارج، المخرج كان مستعدا لعلاج الكلب مهما كلفه الأمر وإهدائه لأى شخص يريده بعد ذلك، إلى أن قال له أحد الأطباء إنه لا أمل فيه، فذهب إلى جمعية الرفق بالحيوان، التى رفضت استلامه لأسباب تخصها، وظل المخرج حزيناً لا يعرف ماذا سيفعل؟ وفى غمرة تفكيره وهو على طريق الأوتوستراد، قرر أن يفتح باب سيارته ويتركه فى مكان "عمران"، جاء على نفسه وفعلها وهو يشعر بالذنب، مر على المقهى بعدها وكان متأثرا فعلاً، وكان الرسام قد عاد من السفر لكنه لا يظهر قبل الواحدة صباحا، والمخرج كان "مستحلفا"

لـه، وكان عندمـا يغضـب يتحـول جسـده الصغـير إلى شيء ضخـم، كان غضبـه أوسـع مـن حـدوده، احتشـد للرسـام الـذى ظـن أنـه خدعـه ودخـل الجريـون مـع سـعيد عبيـد، كان أحـد المثقفـين الأغنيـاء قـد اتهـم المخـرج قبلهـا بليلـة بأنـه سرق ولاعتـه، وبالطبع ستكون ولاعـة لائقـة باسـم ومكانـة صاحبهـا، المـكان كلـه يتحـدث في الموضـوع والمخـرج لا يعـرف شـيئاً، وعندمـا عـرف نـسى موضـوع الكلـب ودخـل عـلى صاحـب الولاعـة غاضبـاً (وكان يجلـس مـع الرسـام)، ولاعـة إيـه يـا جـدع انـت .. يـا "...." ،فـرد الرجـل "هـى مـش غاليـة.. بـس عزيـزة عليـه لأن والـدتى هـى الـلى جيبهـالى" .. فسـأله المخـرج والـشرر يتطايـر مـن صوتـه وعينيـه .. و"السـت والدتـك لسـه عايشـه؟ "فأجابـه المثقـف ربنـا يديهـا الصحـة، فقـال لـه المخـرج "خليهـا تجيـب لـك واحـدة تانيـة وماتطلعـشى ديـك أمـى" .. سـاعتها وقـع الرسـام عـلى الأرض مـن الضحـك.. وخلـص الموضـوع.

فريد

الحاج فريد رجل طيب يعرف ربنا وعاش حياة قاسية لكي يربي أولاده أحسن تربية.. ظلمه أشقاؤه وهو صغير، واشتغل كل المهن.. كان نظيفاً وحانقاً. ولا يكف عن مسخرة كل شيء، وصل سن الثمانين بصعوبة وكان قد ابتنى على أطراف القرية بيتاً معقولاً تزوج فيه أبناؤه وكبر أحفاده وأصبح ذا شأن معنوي في محيطه... الجميع يعرفون أنه رجل صلب لم يكن متديناً على الإطلاق، ولكنه لم يكن يغضب الله، هو يصوم رمضان فقط، وذهب إلى الحج وهو في السبعين، يدخن بشراهة، في الماضي كان "يشرب سجائر لف" ولكنه في سنواته الأخيرة كان يدخن أربع علب "مكن" محلية الصنع.

تعيش عائلته في الجانب الآخر من القرية، لم ينس ما فعله أشقاؤه به.. أشقاؤه المتعلمون الذين زوروا أوراقاً سلبته نصيبه "الكبير" في الميراث، كان يعامل من يلتقيه منهم أو من أولادهم

بجفـاء شـديد باسـتثناء محمـود ابـن شـقيقه حسـين الـذى مـات مبكـراً، لأن محمـود صديقـه قبـل أن يكـون ابـن أخيـه، يذهـب إليـه ويأخـذه بسـيارته نصـف النقـل إلى الطبيـب أو إلى عـزاء فى القـرى المجـاورة، محمـود ظـل لمـدة عشريـن عامـاً يحـاول أن يلـم الشـمل وأن يجعـل عمـه "مرضيـاً" بعـد اسـتعداد الجميـع لدفـع مـا سـلب مـن العـم الـذى "شـقى" أكـثر مـما ينبغـى، منـذ أكـثر مـن سـتين عامـاً الحـاج فريـد كان يرفـض، ويتباهـى بـأولاده ونجاحاتهـم وبأنـه أدى رسـالته فى الحيـاة وشرف اسـم أجـداده، "هـد" محمـود داره وأصبحـت بيتـاً اسـمنتياً ذا طابقـين، وذهـب إلى عمـه وقـال لـه لـن ننـام فيـه إلا إذا كنـت بيننـا.. اشـترط الحـاج ألا يكـون هنـاك غـير "العيـال"، ولا يريـد أن يقابـل أحـداً آخـر، كان محمـود سـعيداً جـداً و يشـعر بالزهـو وهـو يفتـح بـاب السـيارة أمـام المنـزل.. محمـود متـزوج مـن العائلـة، ابنتـه الكبـيرة فى كليـة الطـب وأولاده فريـد ومحمـد و أمـين فى مراحـل التعليـم الأدنى، جلسـوا جميعـاً عـلى "الطبليـة" كان يوجـد بـط ولحـم وأرز معمـر، وفجـأة هنـاك مـن "يخبـط" عـلى البـاب، محمـود بعفويـة وضـع البـط واللحـم تحـت الطبليـة، الأمـر الـذى جعـل الحـاج فريـد يقـوم مفزوعـاً ويقلـب الطبليـة فى وجـه الأولاد ويـصرخ، حسـبى الله ونعـم الوكيـل "بتخبـى الأكل يـا محمـود؟! إنـت مـا تربيتـش يـا محمـود؟! إنـت مـش مننـا يـا محمـود!" وخـرج الرجـل الكبـير وهـو يبـكى، لأنـه تـربى عـلى أن الضيـف لـه نصيـب فى الطعـام، وحدثـت قطيعـة اسـتمرت سـنوات شـعر خلالهـا محمـود بأنـه صغـير وحقـير وتافـه، هـو اعـترف بذلـك، "سـاق طـوب الأرض" عـلى عمـه، دون جـدوى، كان يذهـب إلى أبنائـه محمـود الـذى يعمـل صحفيـاً فى روزاليوسـف

ويجلس على زهرة البستان فى القاهرة ويوسف المحاسب ببنك الإسكندرية - الكويت الدولى بشارع النبى دانيال فى الإسكندرية لكى يقنعوا الحاج بأنه لم يكن يقصد شيئاً.

عشر سنوات والحاج عندما يسمع اسم محمود يقول "أعوذ بالله".. وفجأة تحامل على نفسه، ووصف لزوجة ابنه الكبير التى تعيش فى البيت نفسه، "طبخة" لم يأكلها منذ وفاة أمه سنة 1955، مكونة من الحمص والبيض والسمن "البلدى طبعا"، وقال لها سأذهب لزيارة "الواد محمود"، كانت حركته قليلة، أخذ المشوار لآخر البلد فى وقت طويل، متكئاً على عصاه، يستريح أمام الدكاكين التى كانت ترحب به بحفاوة منقطعة النظير، لم يشاهد وهو يمشى هذا المشوار منذ سنوات بعيدة، وصل إلى بيت محمود "الذى أصبح أربعة طوابق" ولكنه لم يجده، قال لهم قولوا له إن عمك جاء يسأل عنك.. شرب شاياً أمام البيت وكان متسامحاً مع الآخرين من العائلة الذين كان يعرفهم جيداً وخصوصاً الشباب، وأخذته سيارة إلى بيته وأكل طعام أمه وأشعل سيجارة ومات! محمود بكى كثيراً... قبل "أربعين" عمه مات هو أيضاً.. ولم يكن مريضاً!

الحكاك

كانـوا ثلاثـة، محسـن لطفـى وشـخص آخـر، تقابلوا فى الدراسـة، واتفقـوا عـلى الذهـاب إلى "الوندسـور"، "لتشـبير الجمجمـة بعـد الـضرب"، المـكان فى أواخـر الثمانينـات كان مبهجـاً وواسـعاً، يرتـاده مسرحيـون وسـينمائيون وعـدد قليـل مـن الأدبـاء، تشـعر وأنـت جالـس هنـاك بأنـك فى زمـن آخـر، وأن اسـتيفان روسـتى وصـلاح منصـور وتوفيـق الدقـن ورشـدى أباظـة سـيدخلون عليـك فى أى لحظـة، البـار كان إلى اليسـار وأنـت داخـل، الثلاثـة تمـام التـمام، ويتحدثـون أو يسـتأنفون حـوارا يبـدو مهـما، ويبـدو أيضـاً غـير مهـم، لفـت نظرهـم قبـل أن يجلسـوا اسـتياء الـرواد مـن شـخص يقـف هنـاك، ويشـتم مـصر والمصريـين بلهجـة سـعودية، اقـترب محسـن ولطفـى منـه (كانـت ثلاثـة مـن أصبـع يـده اليمنـى مربوطـة إثـر جـروح وموضـوع عـلى كل إصبـع واقـى ذكـرى تقليـدى)، الشـخص الثالـث وقـف بعيـدا، قـالا لـه فى البدايـة أن مـا يقـوم بـه يعتـبر تجـاوزا، وأنـه ينبغـى أن يعـرف أنـه ضيـف، وهـو

يـرد عليهـم بوقاحـة طالـت رئيـس الجمهوريـة ووزيـر الداخلية، ولم يكـن أمامهـما إلا التلطيـش لـه، بعـد أن تأكـدا أنـه ليـس سـكراناً للدرجـة التـى يمكـن مسـامحته لأجلهـا، "وجرجـراه" إلى قسـم الموسكى الـذى يعـرف أحـد الصديقـين ضابطا بـه، فى القسـم كانـت الشرطـة فى خدمـة الشـعب، وليـس الشرطـة والشـعب فى خدمـة الوطـن، صديقهـما الثالـث كان معهـما (يلبـس كوفيـة فلسـطينية ويحمـل حقيبـة أوراق عـلى كتفـه ويمكـن أن يكـون صحفيـاً يسـارياً أو كاتـب قصـة أو شـاعر عاميـة أو أى شيء مـن هـذا القبيـل)، كان الغضـب يتطايـر مـن عينـى الصديقـين اللذيـن لم يشربـا بعـد وطـار مـن رأسـهما "الحجريـن"، وكانـا عـلى اسـتعداد لإرتـكاب جريمـة، والرجـل يواصـل شـتائمة ضـد الشـعب المـصرى، وبعـد سـين وجيـم وصـاد وعـين، تبـين أن الرجـل ليـس سـعودياً ولا يحزنـون، هـو مـصرى مـن شـبرا، اسـمه وديـع، يحولـه السـكر إلى سـعودى، وتحول الموضـوع إلى هـزار، وسـعيا معـا لإخراجـه مـن القسـم، وتأكـدا أن معـه فلوسـا تمكنـه مـن "المـرواح"، وخرجـوا جميعـا، صديقهـم الثالـث بقـى معـه، أجلسـه عـلى مقهـى وسـقاه خمسـة فناجـين قهـوة سـادة، وأطعمـه رغـما عنـه، وعـرف عندمـا أفـاق أنـه يعمـل "حـكاكا" للألمـاس فى شـارع عـدلى والصالحيـة، يضـع المجوهـرات الثمينـة بـين أصابعـه ويقـوم بحكهـا بمهـارة، المهـارة التـى لا تكتمـل إلا والـدم ينـزف مـن أصابعـه، لأنـه - كـما قـال - لا مجـال للهـدر، وهـو مـن خمسـة أو سـتة فقـط فى مـصر يجيـدون هـذه المهنـة، التـى يقـال عـلى أصحابهـا أنهـم يأكلـون مـن دمهـم، وهـو يكسـب فى اليـوم الواحـد أكـثر مـن مئـة جنيـه ويعمـل يومـين فقـط فى الأسـبوع بسـبب الجـروح، الصديـق الثالـث كان يسـكن فى شـارع

على زين العابدين فى السيدة مع طلبة فنون جميلة، أخذه معه، وتركه ينام على راحته، وصحبه معه إلى معرض القاهرة الدولى للكتاب، الذى كان عامراً فى ذلك الوقت، وكان الرجل الثالث قد تعرف على مجموعة رائعة من شباب الشعراء وكتاب القصة السعوديين، جاءوا على حسابهم، وسكنوا شقة متواضعة فى باب اللوق، عرفهم عليه، وحكى ما حدث الليلة الفائتة، وتركه وانصرف، أحبوه، وأقام معهم، وصاروا أصدقاء.

شريف

أن تجـد نفسـك - فجـأة - قـد أتممـت الخامسـة والثلاثـين وأنـت فى شـقة ضيقـة تطبـق عـلى صـدرك، وحيـدا، ولا يوجـد فى جيبـك غـير جنيهـات قليلـة، ولا تسـتطيع أن تـأكل وجبـة سـاخنة تـرم عظمـك، وصاحـب البيـت المتهالـك الـذى تسـكن عنـده بـدأ فى "لـوى بـوزه" والنظـر فى سـاعة يـده كلـما رآك، لأنـك تأخـرت فى دفـع الإيجـار، ويتملـكك إحسـاس صـادق بأنـك شـخص فاشـل، رغـم تقديـر الجميـع فى الجريـدة لـك ولموهبتـك كعضـو أسـاسى فى "الدسـك" (أو دسـكمان كـما يقـال المتحذلقـون) ووعدهـم لـك بالتعيـين منـذ عامـين، شريـف خريـج دار العلـوم وكاتـب القصـة القصـيرة المقـل، أحـس أنـه محـاصر ومكبـل بهـذه المهنـة، وبأنـه كان أكـرم وأشرف لـه أن يواصـل عملـه كمـدرس فى التربيـة والتعليم، بـدلا مـن الجلـوس عـلى "طشـت الدسـك" عـشر سـاعات يوميـا، وأخـذ غسـيل السـادة الصحفيـين "فـم"، المخضرمـون فى الدسـك مـن الذيـن سرقـت أعمارهـم يدعـون الله دائمـاً أن يتـوب عليهـم مـن

خدمة البيوت، شريف فكر وهو يبدأ عامه السادس والثلاثين أن يعود إلى قريته ويعمل مع والده فى تجارة الغلال والعلف، وكان عليه أن يستعد لإتخاذ القرار، استيقظ على راحته يوم الاثنين، وغير ريقه وشرب شايا غزيرا وسيجارتين ملفوفتين تركهما له لطفى فى الليلة الفائتة، وحاول كتابة شىء يخرجه من إحساسه بالضآلة، وفشل، وقرر ألا يذهب إلى العمل ويحدث ما يحدث، تجاوز مخزن سكك حديد بولاق الدكرور، المشوار الذى كان يضاعف إحساسه بالوحدة، هو يريد فقط أن يذهب إلى وسط البلد، وينتظر المراكب على المقهى، وقف على ناصية شارع التحرير أمام "مقار" الدقى، فى المحطة التى يقولون عنها الكوبرى الخشب، والتى لا يوجد فيها كوبرى خشب، أحس فجأة أن العمارتين الكائنتين أمامه ترقصان، ضحك، وشعر بسعادة مفاجئة، وشكر لطفى فى عقل باله، لأنه ظن أن السيجارتين هما السبب، كانت السيارات فى الشارع غير مشغولة بما يدور فى رأسه، وفجأة سمع "الصريخ" فى كل مكان، وأول مشهد أربكه هو ظهور شخص بملابسه الداخلية وفى يده كوب شاى، وفى اليد الأخرى فرشاة حلاقة وعلى وجهه رغوة صابون ويقول جملة واحدة "أكيد فيه حاجة غلط"، وتأكد بعد قليل أن زلزالا عنيفا ضرب القاهرة، فى المقهى شاهد الهلع المشحون بالكوميديا على الوجوه، حتى الشيخ خليل الذى كان يصلى بالناس العصر فى المسجد المجاور جرى ولم تعلم قدماه على الأرض ويقال أن الزلزال بدأ وهو ويرفع كفيه على أذنيه ليقول الله أكبر، وعندما ما شعر به قال "الله الله الله" وجرى، شعر شريف أنه فى وسط الحياة، إلى أن جاءت

فتاة إسبانية تبحث عنه، تعمل على أطروحة تتناول تطور اللغة فى القصة القصيرة المصرية بعد هزيمة يونيو، ورشح لها أحد مصادرها شريف باعتباره صاحب إنجاز، عاملها بقسوة ليست من طبيعته، وأكد لها أنه لا يوجد تطور فى أى شىء، وأنه توقف عن الكتابة ولا يريد أن يتحدث إلى أحد، وظل شهرين مربوطاً فى تفاصيل التوابع والتنكيس والريختارات، وباع مكتبته الضخمة لكى يواجه متطلبات الحياة، والفتاة الأسبانية الطويلة صاحبة العينين الضيقتين تطارده أينما ذهب، وتتقرب من أصدقائه، فى يناير 1993 تزوجها، وسافر معها إلى الأرجنتين، فى المطار سأله لطفى - الذى ذهب لتوصيله -" الأرجنتين دى اللى بنجيب منها تين فى رمضان؟" رد شريف بابتسامة المغادرين الطفولية المسطولة" لأ.. دى بلد لاتينية خالص".

الطقم

عـاش عبدالرحيـم عامـاً كامـلاً فى موضـوع "الأسـنان"، قـام بخلـع مـا تبقـى منهـا عـلى مراحـل، اسـتعدادا لتركيـب "طقـم" يجعلـه يـأكل مثـل النـاس، هـو لا يكـف عـن التدخين وشرب الشـاى وأكل الحـلاوة الطحينيـة والحديـث عـن قضايـا الفلاحـين، هـو عـلى مشـارف السـتين ويعيـش فى روض الفـرج ويسـافر إلى اليمـن وليبيـا والعـراق وسـوريا فى مؤتمـرات تناقـش أحـوال الفلاحـين فى العـالم، لا تسـتطيع أن تقـول أنـه قصـير ولا تسـتطيع أيضـاً أن تقـول أنـه ليـس قصـيراً، أخـذه ابـن شـقيقته الصحفـى شـحاته إلى طبيـب شـاب فى إحـدى مسـتوصفات عابديـن، واتفقـا معـه عـلى الخلـع التدريجـى وتركيـب الطقـم بعـد ذلـك، ودفعـا لـه 100 جنيـه عربونـا، لأن الشـكل العـام لعبـد الرحيـم كان يجعـل رجـال الأمـن فى المطـارات (وفى غـير المطـارات) يسـتهينون بـه، قبـل التركيـب باسـبوعين قـل كلامـه، وبـدأ يضـع يـده عـلى فمـه إذا تكلـم، وكان المحيطـون بـه يشـعرون أنـه مكتئـب، وهـو الـذى لا يكـف عـن الضحـك والتريقـة

على الجميع وعلى نفسه، ركب الطقم فى أكتوبر 1988، واشترى بدلة جديدة احتفالا به، قرر أن يكون شخصاً جديداً تماماً، وعندما ظهر - بشكله الجديد - على مقهى الجمهورية، رحب به الشباب وسخر منه الشيوخ واستغربه القهوجية، ولكنه كان سعيداً، فى الأيام الأولى كان وجهه متوتراً وشفتاه لا تكفان عن الحركة وهو صامت، لأن جسماً غريباً يرفض التعايش معه، ومع الوقت استقر "الطقم" الذى غير قليلاً من ملامح وجهه، وصار حلمى طبيب الأسنان (والذى يكتب شعر العامية) من مشاهدى مباريات الطاولة الملتهبة على المقاهى التى يرتادها عبد الرحيم فى وسط البلد، هو من المنيا، فى الثلاثين من عمره، ويحتفظ بلهجته المنياوية حتى فى قصائده التى لا تخلو من شعر حقيقى، هو يكتب شعرا وجوديا، يدخل المقهى وفى يده كيس مليئ بالبسكويت والشيكولاته وكل ما يتمناه الأطفال، يعزم على الحضور والكيس فى يده، وفى النهاية يلتهمه بمفرده تقريباً، المهندس كمال هو أحرف لاعبى شلة عبد الرحيم، لأنه يمتلك خيالاً جريئاً فى اللعب ويجرب حلولا غير مألوفة فى تحريك القواشيط، جعله مشهورا، ويأتى له لاعبون من مقاه أخرى، يسعدهم دفع المشاريب إذا خسروا أمامه، فى وجود حلمى - الذى يشرب على اللعب - لا يكسب أبدا، ويعانده الزهر، لدرجة أنه بدأ يواعد اللاعبين فى مقاهى فيصل، وكان الطبيب يعرف فيذهب إلى هناك أيضاً، كمال أخذ عبد الرحيم فى سيارته ذات مساء ليحذره من حلمى، وقال له أنه نذير شؤم، وحدثه عن بخله وأنه ينبغى أن "يشوف له صرفه" وأن "اللى حضر العفريت يصرفه" وهما على كوبرى 6 أكتوبر،

توقفت أمامه فجأة سيارة، فضغط على الفرامل بعنف، كان عبد الرحيم - لحظتها - يبصق فى الشارع، فسقط "الطقم" من فمه، ومرت سيارة ميكروباص عليه، وجن جنون عبد الرحيم، وتطاول على المهندس كمال، وكاد يبكى وهو يعنفه، ونزل على الكوبرى وأغلق باب السيارة الـ31 بعنف لفت نظر الجميع، ومشى طويلاً يهذى إلى أن وصل إلى المستوصف فى شارع الساحة، وحكى لحلمى ما حدث، وبالغ فى تصوير كراهية كمال له، حزن الشاعر جداً، ووعده بطقم آخر مجانى، وتوقف عن مشاهدة مباريات الطاولة، ولكنه لم يتوقف عن الذهاب إلى المقاهى نفسها.

العبد

ترك بيته وأسرته ووظيفته وصعد، غير اسمه إلى "العبد"، لأنه لا "محمود" إلا الله، ترك المكان كله (البيت الملاصق لقبر والديه) وجلس فى "بير السلم"، المكان يبدو ضيقا، وهو غير ذلك، يسع عشرين شخصاً يجلسون مستريحين، لا تسأل كيف؟، نظيف جداً، ولا يوجد به شىء، غير الحصير البوص الذى يغطى الأرض والجدران، حتى الستائر مصنوعة منه، العبد رجل فى الخامسة والسبعين سنة 1990، والمكان الذى اختاره فى بطن جبل المقطم "الأباجية" مليىء بالأسرار والسكينة، يطل على ميدان "المنشر"، الميدان الذى تنشر فيه كل البيوت ثيابها المغسولة، يكفى أن تسأل عن اسم الميدان ليدلك الناس، فوق رأسك مباشرة يقف مسجد الجيوشى، وأمام البيت المتهالك سور متهالك يعتقد الناس أنه من بقايا قصر عزيز مصر، اعتبر العبد المكان كله "وادى المستضعفين فى الأرض" وعنده مبررات كافية، واعتبر بير السلم "حلقة الصابرين"، هو رجل وسيم للغاية،

يلبس ثيابا بيضاء ناصعة، شاهده إبراهيم منصور يلبس قميصا أحمر، فأخذها عليه. وكلما التقاه عنفه، لأنه لا يجوز لشيخ كبير أن يرتدى قميصاً أحمر، ذقن العبد حليق دائماً، وعيناه زرقاوان ويعرف فى النجوم والحروف والأرقام والتفسير الباطنى للنصوص، يوجد فى المكان جهاز تسجيل ناشيونال قديم، مغطى بمفرش، فوقه أشرطة لمصطفى إسماعيل وعبد الفتاح الشعشاعى وأم كلثوم وعبد الوهاب وياسين التهامى والتونى، يعرف أسرار جبل المقطم، ويرى أنه لا يقل مهابة عن "طور سينين"، ويعتقد أن نفقا فى مكان ما يصله بالقدس الشريف، وأن الدراويش العظام يعرفون مكانه، وأنه سيأتى الوقت - عندما تصفو قلوب الناس - ليتحرر المسجد الأقصى من خلاله، عز الدين هو أول من تعرف على العبد فى منتصف الثمانينيات، عز من دسوق، مسكون بالتاريخ والحضارات القديمة ومحبة آل البيت، هو من أسرة يسارية معروفة، ويعمل فى مكان مرموق، ويحلم نيابة عن الطبقة العاملة التى جرفت أحلامها، بعد التأكد من الانهيار التام للاتحاد السوفيتى، ودخول الأمريكان بدباباتهم إلى الخليج العربى، أصبح ضيفا هو وأصدقاء النضال القدامى فريد ومحمد ومصطفى وحسام على حلقة العبد، هناك كل شيء موجود، وبخور الصالحين يعبئ المكان، والنار لا تنطفئ أبدا، وكثرت السيارات التى تركن بعيداً عن الميدان الذى يستحيل أن تصله سيارة، انزعجت الحكومة وألقت القبض على الشيخ "الغامض" الذى يذهب إليه نجوم المجتمع، أفرجوا عنه بعد أسبوع، هو لم يقل ماذا حدث هناك؟، واكتفت الحكومة بتفريغ إطارات سيارات ضيوفه، فريد أكثر الأصدقاء

بهجة، لا يشعر بأسى بسبب انهيار الشيوعية، ربما لأنه تعرف على ابن عربي متأخرا، هو شخص بسيط وعميق وسريع الغضب والتسامح، ابتسامته تفتح قلبك له إذا كنت تلتقيه لأول مرة، محمد أكبرهم سنا، خرج إلى المعاش، وعمل مستشاراً لإحدى المنظمات العربية، مثقف كبير وشريف، ولا يصدق حالة العبد، ويرى أن الذهاب إليه مضيعة للوقت، ومع هذا هو الذي يلح على الذهاب، يتناقش بشكل علمى فى موضوعات لا يقدر العلم عليها، وفى النهاية يمشى سعيداً من المكان المحاط بعمر ابن الفارض وذو النون المصرى وصحبتهما الطاهرة، مصطفى أصغرهم سنا، شاعر، ويعمل فى البنك الأهلى، وله - على جنب - كلام مع العبد، ويزوره بمفرده مع صديقاته، ويلتقيه فى مسجد على زين العابدين والسيدة نفيسة أيام الجمعة، وغير معنى بالاتحاد السوفيتى، وهو هناك يتدرب على استعادة فطرته واتزانه، ويحب أصدقاء العبد ويعتبرهم عائلته، عز الدين هو الأقرب للرجل الكبير، ذهب إليه ذات صباح على غير العادة، جلسا يدخنان ويقرآن فى فصوص الحكم لابن عربي، ودخل عليهما الشيخ الجنايني (كما عرفه العبد لعز الدين) يحمل طبق فول يكفى ثلاثة أشخاص وخبزاً ساخناً وبصلاً أخضر، أكلوا واستطعموا الأكل، وشربوا شايا ودخنوا حزمة أحجار، وجلسوا صامتين لمدة نصف ساعة، وفرد الجناينى جسده وأطلق الشهادتين، ومات، انزعج عز الدين، وابتسم العبد، وجلس فوق رأسه يقرأ القرآن، وبعد أن صدق، قام وأخذ عز من يده وخرج به إلى الميدان وقال له "مع السلامة أنت"، العبد لا يترك صومعته إلا إلى المساجد، ولكنه

وافـق عـلى الذهـاب إلى عيـد ميـلاد محمـد الخامـس والسـتين، عنـد عـز الديـن فى قلعتـه العاليـة، صعـد السـلالم كلهـا بـدون عنـاء، صعدهـا والسـيجارة فى يـده، وجلـس بـين محمـد وفريـد ومصطفـى وحسـام وعـز، كانـوا يحششـون ويقـرأون شـعرا ويقولـون كلامـا طيبـاً، وفجـأة، رفـع يـده، وبأقصى مـا يملـك مـن قـوة، صفـع محمد عـلى خـده الأيـسر، لم يصـدق أحـد، ولم يتدخـل أحـد، لدرجـة أنهـم بسـبب "السـطل" شـكوا فى أن الصفعـة حقيقيـة، وارتبـك إيقـاع الليلـة، وظـل العبـد طـوال عيـد الميـلاد - وخصوصـاً بعـد أن بـدأ النبيـذ الحمـر يقـوم بمهمتـه - ينظـر فى عينـى المحتفـى بـه بعينـين غاضبـين، ويقـول لـه بـين الحـين والآخـر متوعـدا "هـه.. فهمـت؟!!".

سعد

تخرج سعد فى كلية التربية الفنية منتصف الثمانينيات، واشتغل مدرساً للرسم فى إحدى المدارس الخاصة بشارع الهرم، ورسم لنفسه شخصية "معينة"، لا أحد يعرف أين يسكن بالضبط، ومع من؟، الكل يعرف أنه من بسيون، وأنه يتجه آخر الليل إلى ميدان الجيزة، يدخن "الجيتان" الفرنسية، وحريص على القول بأنها نادرة وأنه يتعب فى الحصول عليها، ويلبس ثيابا مستوردة متناسقة، خبير فى السيارات، يعرف أنواعها وموديلاتها وسباقاتها، هو لا يجيد القيادة ولا يمتلك واحدة، يعرفه التشكيليون تماماً ولكنهم لا يتحدثون معه، لأنه "أساسى" فى كل "الافتتاحات"، لا يقتحم أحداً، ويقف طويلاً أمام اللوحات ولا يبدى رأيا فيما شاهد، ولكنه مرحب به فى المقاهى، لأنه شخص مهذب، ويدفع لنفسه الحساب، وعندما يذهب إلى الحانات لا يشرب غير زجاجة بيرة واحدة، وهو من النوع الذى لا تعرف هل هو ميسور الحال أم لا؟، ويرتبك

تماماً في وجـود أي امـرأة، ولكنـه يكـون ودوداً جـداً ومقبـلاً عـلى الحيـاة مـع أي أجنبيـة تجيـد العربيـة، مشـكلته الوحيـدة في الحيـاة هــي شريــف الشــاعر اليســارى المحبــط، الــذى يشــيع عنــه أنــه مخـبر يكتـب تقاريـر ضـد المثقفـين، لدرجـة أن سـعد بـدأ يهـرب مــن أي مــكان يتواجــد فيــه، ذات مســاء حــضر افتتــاح معــرض لصــلاح عنــاني في أتيلييــه القاهــرة (شــتاء 1992) وتعرفــت عليــه طفلـة في المدرسـة التـى يعمـل بهـا كانـت بصحبـة أمهـا المحاميـة الشـيوعية، وانتقـل معهـما إلى الأوديـون، واصطـاده شريـف وكان صفيقـا معـه لدرجـة لا تصـدق، تـرك المـكان، وذهـب إلى الـكاب دور في شـارع عبـد الخالـق ثـروت، وشرب كثـيراً بمفـرده، وعـاد إلى الأوديـون، ولم يصعـد، وانتظـر شريـف في الشـارع، وضربـه ضربـاً مبرحـاً وتركـه مكومـاً في الشـارع ومـضى، واختفـى تمامـاً مـن وسـط البلـد، واسـتقر في الإسـكندرية، خصـوم شريـف في المنطقـة كانـوا سـعداء بمـا حـدث، وعـرف أحدهـم مـكان سـعد وذهـب إليـه، وجلـس معـه يومـاً كامـلاً، وعـرف أن سـعد ناقـد تشـكيلى مميـز، وأن لـه محـاولات في كتابـة القصـة القصـيرة، وأنـه يعـد كتابـا عـن جيـل السـبعينيات في الفـن التشـكيلى، وأنـه كان يشـترى ملابسـه مـن وكالـة البلـح، وأنـه كان يسـكن في حـارة متفرعـة مـن شـارع المحطـة مـع طلبـة مـن قريتـه، وأنـه يحلـم بـشراء سـيارة يضـع في شـنطتها كرسـيين، وعندمـا يكـون مـع حبيبتـه (التـى لم يتعـرف عليهـا بعـد) يذهبـان بهـا إلى النيـل، ويجلسـان يشربـان البـيرة، ثـم يضعـان الكرسـيين في السـيارة ويمضيـان، أخـذ شـقة في العصافـرة، أصبحـت مكانـا للهاربـين مـن القاهـرة وهمومهـا، الهاربـين الذيـن لم يتحدثـوا معـه مـن قبـل، أصبـح سـعد صديقـا حميـماً لجيـل

كامل من الشعراء والقصاصين ومحبى السفر ومعرفة الناس، لم يأت إلى القاهرة إلا فى وفاة مصطفى بيه عبد العزيز، الذى كان يحبه ويحترمه، وهو الوحيد الذى كان يجلس معه سعد آمنا، قبل مطلع فجر إحدى ليالى أغسطس 2002، شوهدت سيارة 128 حمراء ملاكى الغربية، تركن فى أول طريق المعادى، وكان سعد جالساً على كرسى قماش (رغم وجود المقاعد الرخامية) وإلى جواره واحدة أجنبية، وفى يد كل منهما علبة "كنز" مغطاة بمناديل ورقية.

التصحيح

وقت طويل استغرقه شريف لكى يرتب جملة واحدة، كان يريد أن يقول لحبيبته وفاء أنه سيتركها، هى لا تعرف أصلاً أنه يحبها، وتنظر إليه كأخ وزميل عمل، وهو ظن أن الحوارات الطويلة بينهما ترمى إلى توريطه فى الزواج منها، شريف كان قد أوشك على الانتقال فى شقه دور أرضى فى "أرض اللواء"، فعل ذلك فى سرية تامة، وهذا يعنى أنه لن ينتظرها عند موقف أتوبيس الدراسة كما يحدث كل يوم لكى يذهبا إلى العمل معا، ولن يأكل معها السندويتشات التى تعدها فى البيت، هو مصحح لغة عربية فى الحزب الذى تحاط أوراقه بسرية تامة، وهى تكتب هذه الأوراق على الآلة الكاتبة، وترد على التليفونات أيضاً، ولها وله أكثر من رئيس مباشر، مسئول التثقيف "عينه زايغه"، وأيضاً لا يحب شريف ويعتبره عسير الهضم، شريف الذى نشر له أسامة عفيفى مؤخراً – فى 1988 – قصائد مبشرة فى مجلة الموقف العربى فى شارع قصر العينى،

ويسعى إلى عمل آخر فى دار نشر إسلامية فى شارع الجمهورية لكى يبتعد عن وفاء نهائياً، استقر على صياغة جملة شعرية تحل له المشكلة، وقرر أن يسلمها لها باليد فى مظروف ملون عليه رسوم فرعونية بعد الإنصراف من العمل يوم الخميس، كتب فيها "نحن فاشلان، كل على طريقته، أنت متعبة فحسب، وأنا فوق ذلك.. شاعر"، وتمنى لها فى نهاية الرسالة السعادة مع شخص يستحقها، واحتفل يومى الخميس والجمعة بحريته، وبأنه لن يكون مجبراً على قطع كل هذه المسافة من الدرب الأحمر إلى الدراسة، لأنه ليس مضطراً لهذا، ولأنه لن يرتبط - مهما حدث - "بتايبست"، لم يذهب إلى الدراسة يوم السبت، فى العمل كان فى انتظاره شقيق وفاء سائق المينى باص وزوج أختها كهربائى السيارات فى مكتب أمين التثقيف، وربما آخرون ينتظرون فى الشارع، قالت له عندما رأته وهى تهم بضربه "أنت إنسان مش محترم، وأنا مش فاشلة ولا تعبانة يامعفن" وانهالت عليه الشتائم والإهانات، إلى أن تدخل أحدهم ولم الموضوع، وتم تبادل السجائر و"العتابات"، وتم تحديد موعد الخطوبة، وانطلقت الزغاريد فى الحزب.

فى سنة 2006، كان شريف قد أصبح "أصلع" تماماً ووفاء كما هى لا تكف عن الضحك ولكنها أصبحت ممتلئة قليلا، يبحثان معا فى مقاهى وسط البلد عن "واسطة" لابنهما كريم... الذى يريد أن يدخل معهد السينما.

عباس

الجهامة التى تبدو على ملامح عباس لا تعبر عن شخصيته، لأنه شخص صادق وحنون بالفعل، هو فقط يعامل كل شخص على "قد قدره"، هو نحات وخبير فى المصريات ويفهم فى الخشب والفضة والزجاج والناس، يمتلك سيارة سيات مزدحمة بأشياء غريبة لا تتغير، يعيش فى شقة دور أرضى واسعة ومرتبة "وحسنة الإضاءة"، ولها حديقة، لا يعيبها الا الناموس الذى يسحب الغطاء من على جسدك إذا فكرت فى النوم عنده، دائما يقول سيختفى عندما تتم تغطية ترعة المريوطية، لا يشعر بالخسارة أبدا رغم خسائره الكثيرة، وخصوصا فى المشاريع "العملاقة" التى كان يدخل فيها، مثل مصنع الزجاج الذى أنشأه فى مصر عتيقة وجعله يبيع ما تبقى له من أرض فى المنوفية، ومثل الماكينة التى لم تصنع طوبا، والتى شاركه فيها سعيد وكامل تحت إشراف "على الهيدروليكى" الوحيد الذى لم يكن يرتدى "العفريتة" ويجلس و"لى الشيشة" فى فمه وأمامه الرسوم

الهندسـية والأقـلام الرصـاص، عبـاس لا يريـد شـيئا مـن أحـد، تجـار الآثـار الكبـار كانـوا يذهبـون إليـه ليعرفوا قيمـة ما بحوذتهـم، يقول لهـم أن هـذا التمثـال ينتمـى إلى الأسرة كـذا، ويحـدد لهـم خصائـص النحـت فى هـذه الأسرة، وهـم مشـغولون فى الـضرب (كان يمتلـك أفضـل إدارة نـار فى الدوائـر)، كان يفعـل هـذا بـدون مقابـل، كان يحـب حسـن الموجـى وحامـد الحنـاوى ويذهـب اليهـما إلى حدائـق القبـة يومـا فى الأسـبوع، وإلى أحمـد فـؤاد نجـم فى الغوريـة فى يـوم آخـر، ويكمـل فى وسـط البلـد بعـد ذلـك، يجلـس صامتـا ولا يتدخـل فى كلام أو "الإدارة" و لايقبــل أن "يتنطــط" عليــه أحــد، لأن ردود فعلـه كانـت مفاجئـة وعنيفـة، ولهـذا كان يخشـاه أدعيـاء الثقافـة والفــن ويغتابونــه، مـرة اسـتاء أحدهــم مــن مجيئــه إلى المقهــى الــذى كان يجلــس إليــه ليـشرب حجريــن فى شـامبليون، اختفــى عبـاس عندمـا أحـس بأنـه غـير مرغـوب فيـه، وعـاد ومعـه صاحـب المقهـى الـذى يسـكن فى معـروف، وقـال لـه أمـام الجميـع: ان هـذا الحيـوان الوضيـع (مشـيرا إلى كاتـب مسلسـلات إذاعيـة معـروف) غـير مبسـوط مـن وجـودى عنـدك- وأخـذ نفسـا واسـتطرد- وقلـت أنـه مـن العيـب أن أضربـه وأنـت غـير موجـود، فاعتـذر صاحـب المقهـى- الـذى تعـرف إليـه منـذ نصـف سـاعة فقـط- وقبـل رأسـه، وطـرد الكاتــب شر طـرده، وحـذره مـن الاقـتراب مـن محافظـة القاهـرة، عبـاس كان نحيفـا و لا يوحـى مظهـره أنـه رئيـس مباحـث أو مسـنود، ولكنـه بصوتـه الهـادئ وثقتـه فى نفسـه كان قـادرا عـلى أن "يفـوت فى الحديـد"، هـو الوحيـد الـذى كان يعـود المـرضى، مـن الأصدقــاء الذيــن ينســاهم الجميــع إذا مرضــوا، ويتفــرغ بالأيــام للذيـن يحتاجـون تفرغـاً، فى سـنة 1990 سـافرت زوجتـه - مدرسـة

الرسم - إلى السعودية، وأخذت البنت والولد معها، وأصبحت شقته مأوى للباحثين عن السلام والسطل والمشاريع، وكثر رزق مستنسخي المفاتيح في وسط البلد والجيزة، أخذ مشروع "شريط كاسيت مخصوص يستهدف سائقي الميكروباص "ثلاثة شهور من الغناء والشعر والضرب، بعدها دخل في مشروع أباجورات القماش التي سافر لها أسبوعين إلى نجاده في الصعيد، بيت عباس الذي كان به زرع كثيف، كان الخير فيه كثيرا والنار دائماً مشتعلة، وهو يتجول فرحاناً لأن الناس حواليه، سافر مع زوجته في العام التالي وعاد "مكبودا" ومهزوما، وقلت حركته، ودخل في دوامة الكبد اللعينة، أثناء مرضه ظهرت ابتسامة ريفية قديمة لم تشاهد على وجهه من قبل، وكان حريصاً على أن يسامحه الجميع، رغم أنه لم يخطئ في حق أحد، وعندما أحس بمنزلته في قلوب معظم المحيطين به... توكل على الله.

الحكومة

قال له أحد أفراد الأمن في العمارة: "هى مقابلة شاكر بيه سهلة كده؟"، وتركه وانصرف، أحس حسين بخيبة أمل وبصعوبة المهمة، ولم يجد ملاذا له غير الأستاذ فهيم المحامى، الذى يستطيع - بحكم وجوده فى العمل العام - أن يرتب موعدا له مع المناضل اليسارى القديم، الذى ظن أن حسين "طمعان" فى ابنته الجميلة أمينة، حسين ريفى طيب، يعمل معدا فى التليفزيون، لكن قيمته الحقيقية فى ثقافته العريضة وقدرته على التعبير عن أفكاره ببساطة وبأقل عدد من الكلمات، بالإضافة إلى انحيازه المبالغ فيه إلى التجارب الجديدة فى الشعر والقصة، ويسهم بالكتابة النقدية فى المجلات الثقافية المصرية والعراقية، وأصبح صاحب مصداقية كبيرة لأنه لا يجامل، وكون صداقات واسعة، وكثر معجبوه، الذين يعرضون عليه مسودات أعمالهم، ويتناقش معهم بجدية وحب وحميمية، تعرف على أمينة فى الجناح الروسى بمعرض الكتاب، وقابلها

بعـد ذلـك مـرات قليلـة فى أماكـن عامـة وسـط أصدقـاء، وشـعر أنـه أمـام موهبـة جبـارة، تكتـب نصوصـاً رائعـة لاهـى شـعر ولا هـى قصـة ولاهـى خواطـر، ولكـن شـيئاً شـفافاً يحملهـا إلى مرتبـة عاليـة فى الفـن، وأحـس تجاهها بعاطفـة صادقـة، وتمنـى أن يرتبـط بهـا، لكـن ظروفـه لا تسـمح بمـشروع ضخـم مثـل الـزواج، فهـو لا يملـك سـكنا، ودخلـه "يـادوب"، ولم يجـرؤ عـلى تطويـر العلاقـة ولم يقـل لهـا أحبـك وهـى أيضـاً لم تقـل لـه، ولكنهـما صـارا حبيبـين، فى شـتاء 1988 دعاهـا عـلى مسرحيـة "الملـك هـو الملـك" عـلى مـسرح السـلام، وامتـدت السـهرة بعـد ذلـك عـلى مقهـى بالحسـين، كانـت عـلى حريتهـا تمامـاً، لأن والدهـا سـافر يومهـا إلى الخـارج، ولم تكـن تعـرف أنـه لم يلحـق الطائـرة، وظـل طـوال الليـل يبحـث عنهـا عنـد الأقـارب والأصدقـاء، وعـن سـيارتها البيتلـز البرتقاليـة، وفى النهايـة وصلتـه معلومـات (لا تعـرف كيـف؟) بأنهـا كانـت مـع شـخص يدعـى حسـين، شـيوعى (وهـو ليـس كذلـك)، فوضـوى، فقـير، وعندمـا ذهبـت البيـت مـع آذان الفجـر، ضربهـا، وحـدد إقامتهـا، ومنعهـا مـن الذهـاب إلى أى مـكان، حسـين أحـس بأنـه مسـئول، وأنـه لا يوجـد حـل غـير طلـب يدهـا بشـكل رسـمى، فهيـم قـال لـه إن شـاكر بيـه سـيقابلك بعـد أسـبوعين، وطلـب منـه اسـمه الرباعـى، لم يحلـق حسـين ذقنـه منـذ ليلـة المـسرح قبـل شـهر، ولم يعـد مهتـما بمظهـره وهندامـه، هـو يعيـش فى الجيـارة بمـصر القديمـة، يتنـاول إفطـاره عـلى مقهـى مجـاور، ويذهـب إلى العمـل، ثـم يلتقـى أصدقـاءه فى المقاهـى والحانـات، فوجئ بشـخص يتبعـه أينـما ذهـب، يركـب الأتوبيـس والميكروبـاص معـه، ويجـده فى انتظـاره وهـو خـارج مـن العمـل، ويسـلمه إلى شـخص آخـر فى

وسط البلد، يستمر معه حتى نهاية السهرة، أصدقاؤه قالوا له إن "الحكومة" تشك أنك جماعات إسلامية، ولكى ينفى هذه التهمة، قرر أن يمضى وقته بين الحانات "والغرز"، لكى يتأكدوا أنه شخص عادى، "شحطط" المخبرين خلفه، ولكنه صادقهم فى النهاية دون أن يتحدث إلى أحدهما، فهو مثلا يطلب لكل واحد منهما مشروباً فى اليوم، ويحاسب للمخبر المسائى على أربعة أحجار معسل، بعد أسبوعين قال له فهيم المحامى بحسم وشفقة "أنسى الموضوع"، حسين بعد سنوات عرف أن شاكر طلب من أصدقائه النافذين فى البوليس تقديم تقرير عن "العريس" فتمت مراقبته، وحدث ما حدث... حسين حزن جداً لأنه فقد حبيبته.. ولكنه لم يشعر بالندم.

سحر السينما

يعمل عبد العزيز فى شارع الأزهر، ويسكن فى عزبة فكيهة فى الهرم، فى شقة لم تدخلها المياه بعد، فيضطر أن يملأ "الجيركن" من صهريج عمومى فى شارع ترسا قبل أن ينام، هو شخص وحيد تماماً، هو مسئول عن ضبط حسابات محل أقمشة، ويقوم بأعمال أخرى من المفترض ألا يقوم بها، كأن يأخذ الخضار إلى بيت صاحب المحل فى حارة الكحكيين فى الغورية، أو لتصليح أعطال الكهرباء هنا وهناك بأمره أيضاً، هو قليل الكلام والأكل، نحيف وطويل وأنفه مدبب، ولكنه مجنون سينما، يتابع أخبارها فى الصحف والمجلات، ولا يشعر بحريته إلا وهو يتحدث عن الأفلام، واهتمامه بها يتجاوز السينما المحلية، يذهب بين الحين والآخر إلى البن البرازيلى فى شارع سليمان باشا لإلقاء السلام على مخرجه المفضل صلاح أبو سيف فى الصباح الباكر، يصافحه فقط ويمضى، وقبل أن يركب آخر موعد لأتوبيس 8 من أمام هيلتون النيل، يكون قد شاهد فيلما أو

فيلمين، هو يذهب إلى عمله فى التاسعة وينصرف فى الخامسة، فى سنة 1987 بدأ يرسل فى البريد مقالات يختلف فيها مع النقاد أو يصحح فيها معلومات أو يدعم رأيا أعجبه، وبدأ ينزل اسمه بكثافة فى بريد القراء، وتجرأ وبدأ يعرف نفسه للنقاد الذين يرسل لهم، فى الندوات الكثيرة التى كانت رائجة، أصبح من رواد جمعية الفيلم والنقاد، يناقش، ويكون موفقا فى كلامه، المحل الذى يعمل فيه جعله يعرف ترزية ميدان الأوبرا، وكانوا يكرمونه بالتفصيل له مجانا، لأنه يمدهم بالزبائن، ولهذا تجده دائما يرتدى ثيابا جديدة ونظيفة ولكنها تنتمى إلى أزمنة قديمة، وبدأ يحضر العروض الخاصة فى سينما كريم، لأن الناس يعرفونه ولا يعرفونه، فى أحد العروض التقطت احدى المجلات الملونة صورة تجمع أحمد زكى ولبلبة ومنتج الفيلم وعبد العزيز (الذى كان يتحدث بعصبية ويشيح بيده لشخص غير موجود فى الصورة)، اشترى من المجلة خمس نسخ، أرسل واحدة إلى قريته فى بسيون، وترك واحدة فى شارع الأزهر، وحمل واحدة فى يده، فى مظروف مليئ بقصاصات الصحف التى تنشر ردوده، ذات ليلة فى خريف 1992، استوقفه صاحب البيت الذى يسكن فيه، الذى يسكن فيه بمفرده، وأخذه من يده عنوة، ودفعه إلى مقهى كئيب يوشك على التشطيب، وأجلسه أمامه فى وجود آخرين يلبسون جلاليب مثل الحاج، وقال له "أنا بنيت البيت بالحلال، تيجى يابن القحبة وتنجسه؟"، رد عبد العزيز "انت بتتكلم فى إيه؟"، ورفع المالك يده وصفعه على وجهه، فوضع عاشق السينما الكيس الذى يحتوى على ثلاثة أرغفة فينو وثلاث بيضات وثمن جبنة رومى وقطعة جبن بيضاء والجرائد

والمجلات ومظروف القصاصات على أحد الكراسى، وحمل فارغ شيشة ونزل به على رأس المالك، الذى نزل منه دم أقوى من صهريج شارع ترسا، أصاب الذهول الجميع، فلم يتوقع أحد منه هذا الرد، وقف عبد العزيز وسط الشارع وخلع قميصه وقال بأعلى صوت "اللى له شوق وفى وشه شنب يطلعلى يا معر ...ين"، فى قسم العمرانية، فرد عبد العزيز أمام الضابط خفيف الظل قصاقيص المقالات، وصورته مع أحمد زكى ولبلبة، ونفى عن نفسه معرفته بالنساء اللاتى يدخلن البيت وهو غير موجود، المالك فوجئ بالجيران موجودين، ويدافعون عن زيزو ويشيدون بأدبه وحيائه، وقام -براسه المربوط بالشاش- بعد الغرز الأربع - وقبل رأس عبد العزيز، ووجه له الدعوة لزيارته فى بيته فى العمرانية الغربية وقال بصوت خفيض "اللى ما يعرفك يجهلك"

رقص شرقى

تخرج كريم فى كلية الحقوق سنة 1984، وهى السنة التى خرج فيها والده إلى المعاش، والده من قويسنا ولكنه يعيش فى بنها، فى شقة دور ثالث فى عمارة مساكن شعبية، على بابها مكتوب "عبد البارى عبد السلام- من رجال التعليم"، مكتوب بخط ثلث جميل جدا، مكتوب بالأسود على نحاس رائق، كان حريصا على تلميع اللافتة بعناية بين الحين والآخر، هو رجل مبتسم دائما، طيب، يصلى ويصوم، ويرتدى ثيابا بسيطة، إسبانية الطابع، كالتى كان يرتديها جمال عبد الناصر ونجيب محفوظ فى الصيف، وفى الشتاء لابد من العباءة الإمبريال السوداء ذى النجوم الخمس، مكتبه (المسروق من الشقة الضيقة) لا يدخله غير كريم وصديقه ياسر(الذى تخرج فى كلية الإعلام قبله بعام)، ومع الوقت صار صديقا لعم عبده الذى كان خبيرا فى فن الرقص الشرقى، ويسافر إلى القاهرة والإسكندرية بنفسه "لمعاينة الراقصات الجدد، رغم أنه لا يشرب الكحول، ويمتلك

مكتبــة رائعــة بهــا أرشــيف مصــور نــادر، ويعــرف تواريــخ مـيـلاد وسـيرة كل راقصات مـصر، ويفهـم فى الموسـيقى ويحتفـظ بموسـيقى الرقصات عـلى جنـب، يسـتطيع ان يناقشـك فى تحيـه كاريـوكا مثـلا، وهـو يشـغل شريطـا تعليميـا يبـدأ مـن بداياتهـا إلى مـا آلـت إليـه الأمـور، لم يكـن خفيفـا كـما يظـن البعـض، لأنـه كان يباغـت يـاسر الـذى عمـل فيـما بعـد محـررا فنيـا فى دار الهـلال وإحـدى الصحـف الخليجيـة- بثقافتـه الرفيعـة والفطريـة، فهـو مثـلا يعتـبر نعيمـة عاكـف هـى الراقصـة الأولى، لأنهـا تتعامـل مـع جسـدها بتلقائيـة، وأنهـا تريـد أن تسـتمتع بالرقـص أولا، وتعيـش معـه، لـكى تنفـض روحهـا مـن غبـار الطريـق، ويـرى أنهـا صاحبـة أضافـة نوعيـة فى هــذا الفــن، لأن طموحهــا لم يـرق - لحســن الحــظ - إلى الرقــص فى القصـور واسـتعادة أجـواء "ألـف ليلـة"، ولأنهـا لا تعمـل عنـد الجمهـور (الزبـون) الـذى يدفـع المقابـل، ولكنهـا عاملتـه كصديـق، سـيتفهمان معـا الحاجـة إلى الرقـص، عـم عبـده ماتـت زوجتـه فى 1987، وعـاش وحيـدا حزينـا لمـدة عـام، وكان يـاسر قـد انقطـع عـن زيارتـه لأنـه عـلى خـلاف مـع كريـم، يـاسر الـذى اصبـح معروفـا فى الوسـط الفنـى ولا يكـف عـن الحـكى للراقصـات عـن عـم عبـده، الـذى تدخـل للصلـح بـين الصديقـين واكتشـف أن أقـل مـا يمكـن ان يقـال عـن ابنـه أنـه قليـل الأصـل، وان الحيـاة فى بنهـا أصبحـت مسـتحيلة، انتقـل للعيـش مـع يـاسر فى شـقة مفروشـة فى عـمارات الظبـاط بالهـرم، وبـدأ يكتـب مقـالات عـن الرقـص الشرقـى نشرهـا لـه يـاسر فى إحـدى الصحـف الخليجيـة وجـاءه منهـا "فلـوس كتـير"، ثـم صـدرت فيـما بعـد فى كتـاب، وأصبـح موجـودا فى الدوائـر التـى يتحـرك فيهـا يـاسر، وشرب البـيرة عـلى كـبر، وكان يبـكى عندمـا

يسكر، وفجأة فى يناير 1990 اختفى، ولم يعرف أحد أين ذهب، وكان كريم يعمل وقتها فى السعودية، وفى أكتوبر 1993 قابله ياسر فى مولد سيدى ابراهيم الدسوقى فى دسوق، وأنكر أنه يعرفه.

الإنتاج

توجد قرابة ما تجمع بين رفقى ومساعد المخرج ممدوح هى التى بررت وجوده فى البداية فى تلك الدائرة، رفقى فى الأربعين، قليل الكلام، وسيم، مريح، يرتدى ثيابا بسيطة، ويركب سيارة جولف حديثة، عاش عشر سنوات فى النمسا عمل فيها فى كل المهن، وكون ثروة معقولة، عاد بها فى فبراير 1993، اشترى بيتا جميلا فى القناطر يعيش فيه بمفرده، ولم يعد يتردد على أهله فى المحلة، لأنهم استكثروا عليه ما هو فيه، أداؤه الشيك جعله زبونا مميزا من زبائن "الأوديون" الذى يذهب إليه كل ليلة بعد منتصف الليل، لم يعد يجلس مع ممدوح كثير المشاكل، هو لا يشرب كثيرا، بالكثير ثلاث زجاجات بيرة، ولا يدخن، ويخاف من سيرة الحشيش، لكنه يحب الأكل والنساء، ويرتبك أمام "أى تاء تأنيث"، ونادرا ما يتحدث فى أمور الثقافة والسياسة والإرهاب، ولكنه بين الحين والآخر يقول بثقة الحكماء "إحنا فين وأوروبا فين؟" يحمل

دائمـا دولارات، وأحيانـا يقـدم البقشـيش منهـا، بعـد عـام مـن وجـود رفقـى فى القاهـرة، أصبـح شـخصا آخـر، واتسـعت دائـرة علاقاتـه وسـط نجـوم التمثيـل، خصوصـا نجـوم الصـف الثـانى، عمـل عزومـة كبـيرة فى شـم النسـيم سـنة 94، جعلتـه شـخصا مميـزا فى القناطـر أيضـا، لأن شـخصا اسـتطاع أن يجمـع كل هـذه الوجـوه فى بيتـه لا شـك أنـه "جامـد جـدا"، ووقـع فى غـرام حنـان الممثلـة الواعـدة التـى تعاملـت فى العزومـة عـلى أنهـا صاحبـة البيـت، حنـان تحـب الحشـيش أكـثر مـن الفـن، وأحبـت رفقـى بعـد عـدة إخفاقـات يعرفهـا الجميـع، وهـو كان عـلى اسـتعداد أن ينفـذ مـا تأمـره بـه، كان ينتظرهـا حتـى تنتهـى مـن عملهـا - إذا كان عندهـا عمـل -، وهـى كانـت مزهـوة بعلاقتهـا برجـل الأعـمال الـذى يرحب بـه الجميـع، فى صيـف العـام نفسـه اعتـل مـزاج حنـان تمامـا، لأنه لا يوجـد "دمـاغ" فى البلـد، وأقنعـت رفقـى بالذهـاب إلى مـكان قريـب مـن بـرج العـرب فى الإسـكندرية لـشراء كميـة حشـيش مـن شـخص معلـوم يدعـى جمعـة، ذهـب بمفـرده، واشـترى بلاطـة كاملـة بخمسـة آلاف جنيـه (وهـو رقـم كبـير جـدا عـلى 250 جرامـا)، دفـع نصـف ثمنهـا دولارات، وشرب سـيجارة عـلى سـبيل التجربـة، فعلـت فيـه أشـياء غريبـة، وجعلتـه يتوقـف وينـزل مـن السـيارة بحثـا عـن أوكسـجين فى الهـواء، وقفـت سـيارة نصـف نقـل أمامـه، يجلـس إلى جـوار السـائق فيهـا رجـل كبـير السـن ملتـح يلبـس زيـا بدويـا، نظر إليـه بـأسى ومـضى، ثـم توقفـت السـيارة وتراجعـت إلى الخلـف، ونـزل الرجـل الكبـير واقـترب منـه وفى يـده فوطـة صفـراء مبللـة، وقـال لرفقـى "أنـت مـا تعرفـشى إنـك خـروف؟"، لم يـرد، لأنـه بالفعـل كان ضائعـا، وبـدأ الرجـل يمسـح إطـارات السـيارة الأربعـة،

التـى كان عـلى اثنـين منهـا علامـات واضحـة بالطباشـير، وقـال لـه إن الـذى بـاع لـه الحشـيش يريـد أن يسـلمه للحكومـة بهـذه العلامـات، قـال لـه رفقـى "أرميـه يعنـى؟"، فقـال لـه الرجـل: حـرام، ولا تخـف ولكـن انتظـر حتـى تجـف الإطـارات، وبالفعـل كانـت توجـد لجنـة عـلى بعـد مائتـى مـتر، لم ينظـروا إلى وجـه رفقـى، تأملـوا الإطـارات فقـط وتركـوه يعـبر، لم ينـم ليلتهـا ولم يذهـب إلى أصدقائـه ولم يـرد عـلى تليفونـات حنـان، فى اليـوم التـالى ذهـب إلى جمعـة حامـلاً حقيبـة بهـا مسـدس صـوت، وقـال لـه أريـد كل مـا عنـدك مـن صنـف الأمـس، لأنـه لا مثيـل لـه، اختفـى جمعـة وعـاد بتسـع بلاطـات، وضعهـم رفقـى فى الحقيبـة، وكان حريصـاً عـلى أن يـرى التاجـر المسـدس، وقـال الـدولارات فى "الأوتيل" فى الإسـكندرية، "زمـزأ" جمعـة فى البدايـة، فقـال لـه تعـال معـى الآن، فوعـده أن يذهـب إليـه فى المسـاء، وأعطـاه رفقـى عنوانـا وهميـا ورقـم غرفـة وهميـاً، وتركـه وانـصرف، البلاطـات العـشر التـى أصبحـت بحوزتـه، كانـت بدايتـه... وجعلتـه فيـما بعـد.. منتجـاً للمسلسـلات.

يحيى

عمل يحيى مدرسا للفلسفة فى ليبيا لمدة أربع سنوات، وكان هدفه الأول من السفر بناء بيت فى قريته، بعد أن صارت دارهم القديمة الجميلة محاصرة بالبيوت الجديدة الباردة، كما حدث فى كل مكان وليس فى الدقهلية وحدها، وتم بناء البيت بعد عامين، واستطاع أيضاً أن يحل بعضاً من مشاكل أشقائه المالية، يحيى مثقف كبير، انخرط فى العمل السياسى السرى فى السبعينيات وسجن مرتين، وسافر إلى بولندا فى منحة دراسية لم تكتمل، بسبب عدم اقتناعه بجدوى الموضوع، وتحول فجأة إلى شخص آخر، يجد راحته فى صحبة آل البيت الكرام، وجوالا بين موالد المحروسة، من المرسى أبو العباس إلى أبي الحسن الشاذلى، وعاش إلى جوار ابن عربي والسهروردى والجيلانى والشعرانى والنبهانى وغيرهم من خيرة البشر، ولم يقطع علاقته، مع هذا. برفاقه القدامى، الذين كان يراهم متصوفين بدرجات متفاوتة، ويرى أن أهدافهم النبيلة تمنحهم درجات إضافية

فى "الإنسـانية" وشـكل لنفسـه قاموسـاً لغوياً غريبـاً، يجمـع بـين لغـة كبـار المتصوفـة، وبـين لغـة ابـن البلـد البسـيطة المشـحونة بالبداهـة، والحـادة والمتهتكـة أحيانـاً، بعـد التجربـة الليبيـة، التـى كان يرفـض الحديـث عنهـا. عـاد إلى المقهـى، حامـلاً حقيبتـه، التـى يضـع فيهـا ملابسـه وغياراتـه الداخليـة و"كوفيرتـه" وعـدة الحلاقـة وجبن "مثلثـات" وعسـل نحـل ومـش، بالإضافـة إلى شـنطة بلاسـتيكية سـوداء بهـا آلاف الجنيهـات الملفوفـة فى ورق جرائـد، التـى هـى حصـاد رحلتـه الأخـيرة، لم يكـن لـه سـكن فى القاهـرة، ولم يكـن يحلـم بهـذا، سـكن فى البدايـة مـع صديقـه القديـم عبـد الحكيـم، لكنـه اكتشـف بعـد أسـبوع أنـه كاره للنـاس، وجلـس أسـبوعاً فى مرسـم وجيـه بطـرس فى عابديـن ولم يحتمـل بسـبب نوعيـة المترددين، فى النهايـة أصبحـت حقيبتـه هـى بيتـه، يأخذهـا معـه إلى دسـوق التـى يذهـب إليهـا أسـبوعياً لأن بينـه وبـين سـيدى إبراهيـم الدسـوقى "موضوعـا"، يسـتدعى السـفر، ويأخذهـا معه إلى منيـا القمـح والشلشـلمون وباسـوس وكـوم السـمن، فى البدايـة كان يسـتأجر سـيارات بسـائقيها فى كل رحلاتـه، ويتكفـل بمصاريـف أى شـخص يذهـب معـه، لم يكـن لديـه إحسـاس بالمـال، لأنـه شـخص كريـم بالفعـل، كانـت سـعادته بالإنفـاق هـى السـعادة. يخـرج الفلـوس مـن الشـنطة ويدفـع بفـرح، مـد يـده ذات مسـاء ليخـرج خمسـين جنيهـا يحتاجهـا أحدهـم، فاكتشـف أنهـا نفـدت، قـام بتطبيـق الجرائـد التـى كان يلفهـا بهـا واتجـه إلى "برميـل الزبالـة" الموجـود بالمقهـى وقـال وهـو يرميهـا ويضحـك! "وآدى ليبيـا"، وبـدأ مرحلـة أخـرى مـن حياتـه، لا يوجـد فيهـا "الهـواء"، لم يطلـب شـيئاً مـن أحـد، وبـدأ البخـلاء فى الهـروب منـه، كان ينـام نهـارا فى سـيدنا

الحسين أو السيدة نفيسة، هو لا ينام فى الليل، يذهب إلى شيخه العبد" فى الأباجية عندما يكون فى حاجة إلى الصمت، ولكى يأنس بالقرب من ابن القارض وذو النون المصرى والجيوشى وصحبتهم الرائعة، كان يغسل ملابسه فى حمام حديقة الخالدين العمومى، وينشرها على حبل مده لهذه الغرض، وكان بعض المترددين على المكان يتركون بجواره "حسنات" يأخذها بعد أن تجف ملابسه ويعطيها لأقرب شحاذ يقابله، وكان إبراهيم منصور يسأله دائما بجدية تحملها ضحكته "عملنا كام النهارده؟" تزوج فى يوم وليلة من إيطالية قابلها أمام مسجد عمر ابن القارض، وسافر لها فى يناير 1990، الأخبار التى جاءت من هناك، تؤكد أنه يحمل حقيبة دائماً وأنه لم يتعلم الإيطالية ولا يريد، وأنه لا يجد صعوبة فى التعامل مع الآخرين.

زمن

كانا مخطوبين لمدة عامين فى أواخر الثمانينيات.. هى من طنطا من أسرة رائعة، جميلة، بيضاء بياضاً مفاجئاً، مقبلة على الحياة، هو إسكندرانى "أصوله من المنوفية"، اختار الصحافة لكنه لم يعمل فى صحيفة محددة، يكتب موضوعات ويجرى حوارات ويعرض كتباً فى أكثر من مكان، فى لحظة قررا الانفصال، هى لم تستطع أن تغير من شخصيته وهو لم يقرر أن يدبر شقة أو دخلا منتظما، هى تزوجت أحد أقاربها، وسافرت معه الإمارات وأنجبت ولدين، وعادت إلى القاهرة فى 2002، وعملت فى مدرسة خاصة راقية مدرسة رسم، هى توقفت عن الرسم وعن مهاتفة أصدقاء دراستها فى فنون جميلة، وعاشت فى شقة جميلة فى ميدان المساحة بالدقى، هو لم يحقق أى مكاسب مادية فى مشواره، ولكنه يحمل اسما محترما فى مجاله، دخل فى أكثر من مشروع عاطفى وفشل، هو يخاف من الوحدة ولا يستغنى عنها، يعيش فى شقة إيجار

جديد فى نصر الدين بالهرم، ويمتلك سيارة 27 فيورا،2002 هى السنة التى مات فيها زوجها المهندس فى حادث على طريق الغردقة، هو لم يسأل عنها طوال هذه السنوات ولكنه يذكرها بكل خير، ويعتبرها حبه الحقيقى وتذكره بفشله، هو لم يشعر فى لحظة أنه شخص فاشل، لأن الآخرين يحترمونه ويقدرون اختياراته فى الحياة، وهى لم تعرف أنه أصبح ذا شأن "ما"، أهل زوجها طمعوا فيها، فأرادوا لهفّ ميراثه، لأنه يكفى أرملته ما حصده لها فى الإمارات، هى ذهبت إلى محام كبير فى شارع الجمهورية، سمعته وهو يتحدث عن خطيبها السابق فى التليفون مع شخص ما، فقالت إنها تعرفه وتريد رقم تليفونه، المحامى قال لها إنه يريد أن يتعرف عليه، وهى قالت - بثقة - سآتى لك به، اتفق معها على أنه سيمر عليها أمام قاعة مشربية فى شارع شامبليون، ويأخذها، كعادتها تلبس ثيابا بسيطة للغاية، هى كما هى بألوانها التى تدور حول الأزرق والسماوى واللبنى، لا توجد إضافة غير إيشارب على الرأس، فتح لها الباب، وركبت، فى أول شارع رمسيس، سألته: اتعلمت السواقة إزاى؟.. نظر إليها ولم يجب، استقبله المحامى الناصرى بترحاب شديد، وناقشه فيما يكتبه، هى كانت سعيدة، تنظر إلى الأرض وعلى وجهها ابتسامة رضا، ابتسامة لها تاريخ، فى الطريق سأل عن أهلها وهى أيضاً، ترحّما على من مات، ولم يجدا كلاما آخر، أشارت له إلى سيارتها أمام العمارة، وقالت له إنها أدمنت ركوب المترو، لأن "السواقة" أصبحت مستحيلة، وقالت وهى تنزل: أنت ماقلتش عامل إيه؟ أجابها: "مش عارف.. وتليفونى معاك".

اللغة

ماری - سائحة فرنسية - جميلة جداً، ذهبت لتصنع خاتماً على فص زمرد جاءت به فى ورشة بالصالحية يتردد عليها حسام السيناريست الشاب، والذى تواصل - بالكاد - معها بإنجليزية ركيكة مثل إنجليزيتها، كان الحوار مضحكاً، لدرجة أن الضحك هو الذى جرأهما على بعض، لدرجة ادهشت الخواجة سمير صاحب الورشة، وكانت الأمطار الغزيرة فى الخارج قد أجلت خروجها، شربت ودخنت وذابت فى غناء شرقى قديم، وفى النهاية تأبطت ذراعه، وخرجا معاً، أخذاها مشياً إلى بيت صديقتها فى الدقى، وعاد بمفرده آخر الليل إلى البنسيون الكئيب الذى يعيش فيه فى شارع عدلى، فى اليوم التالى دخلا الورشة معاً، وسافرا بعد يومين إلى دهب وبساطة فى سيناء، واتفقا على الزواج رغم عائق اللغة، بحثا معا عن غرفة فى الجمالية أو الغورية يبدآن فيها الحياة، لم يكن يملك شيئاً، ولكنه استطاع أن يدبر - من البلد وببعض الحيل - مبلغاً،

اكتشف أنه غير كاف، صديقه القديم سلامة كان قد عاد من موسكو مهزوماً وسكن فى بولاق الدكرور "فى أول شارع زنين"، أقنعه سلامة بالسكن إلى جواره، وحدث ما أراد، كانت الشقة عبارة عن غرفتين فى الدور الأرضى، واحدة تطل على شارع "الكرار" الضيق والأخرى فى بحر الظلمات بالداخل، تم توقيع العقد فى مايو 1990، قام بتبيضها، وحول حائط الغرفة المضيئة إلى مكتبة تشبه أرفف البقالين، وأتى بكنبة بلدى من البلد فى مواجهتها، وأهداه هانى تليفويوناً أبيض وأسود "بعد أن اشترى لأمه واحداً ملوناً جديداً"، وجاءته هبة بجهاز كاسيت بروحين، واتفق على شراء سرير ودولاب وبوتاجاز بالتقسيط مع محل مجاور، ولكن الضامن لم يأت، لأول مرة شعر حسام أن له عنواناً وأنه يستطيع أن يتجول عارياً فى مكان يخصه، نام ليلتها على الكنبة، وحلم بمارى وبمشاهد غائمة من طفولته "التى لا يعرف هل كانت سعيدة أم لا؟" وبأمطار غزيرة تطارده، وهو فى غمرة الأحلام قام مفزوعاً على طرقات سلامة القوية على الشباك وصوته الجهورى "الذى كان يقود مظاهرات السبعينيات" "إنت نايم وصدام دخل الكويت؟!".

اكتملت الشقة بعد شهر، وبدأ أصدقاؤه يتوافدون، حسام عمل صحفياً ومصححاً لغوياً ومدرساً وباحثاً من الباطن، وفشل لأنه فنان وتركيبته ترفض الالتزام، هو فقط يريد أن يصنع أفلاماً ينقذها الشعر من الابتذال، رغم فشل تجربته الوحيدة، نسى موضوع مارى تماماً ودخل فى حكايات غريبة، فى فترات عدم العمل المتقطعة الكثيرة، كان يستأجر أفلام الفيديو

بكميات كبيرة ويشاهدها بمفرده أو بصحبة أصدقاء يبحثون عن "منامة"، لدرجة أن كابوساً استولى عليه ذات ليلة، كان مخيفاً، ولكن في نهايته قرأ: "طبعت الترجمة بمعامل أنيس عبيد بالقاهرة"، في الشتاء عادت ماري، وبحثت عن حسام كثيراً، ودلها الخواجة سمير على الأماكن التي يمكن أن يوجد فيها، ذهبت إليه في "الأوديون" هي وصديقتها الفرنسية التي تجيد العربية وتعيش في مصر، انحشر صابر في الجلسة، صابر الذي لا يعترف حسام بموهبته رغم نجوميته، حسام لا يصدقه، وتوجد بينهما "غتاتة" متبادلة، ولم يتم الحديث عن شيء، صابر يجيد الفرنسية لا تعرف كيف؟ تطوع بتوصيل الجميع، في الطريق ظهرت أفكار طعام، وظل صابر يحدث ماري بالفرنسية، وألمح لحسام أنه يستطيع أن يخطفها، وحسام لا يرد، عند مقار الدقي تأهب للنزول ولكن ماري رفضت، وقام صابر بتوصيل صديقتها أولا، ولف من كوبري ثروت إلى أن أوصلهما بصعوبة بالغة أمام الشقة التي لا يوجد بها مكان لمطبخ، كان رأي ماري في الحرب ضد العراق مخيبا لحسام، سافرت بعد أسبوع حزين، وانتهى كل شئ، وبعد شهر دخل حسام الأوديون ووجد صابر وبصحبته مغنية مغربية جاءت تبحث عن الشهرة، على يديه، كانت ثملة قليلا، التقت عيناها بعيني حسام، تصافحا وتعانقا كأنهما حبيبان، كانت الأيام قد فرقت بينهما.

عبده بنما

وقف عبده عند المريوطية فى شارع الملك فيصل مسطولا ينتظر تاكسيا فجر 3 يناير 1992، هو لا يعرف أين سيذهب؟، هو يريد أن يبتعد فقط، سائقو التاكسيات البيجو 504 لم يعجبهم شكله، هم يبحثون عن الخارجين من الكباريهات، بعد نصف ساعة من البرد والتكتكة، توقف تاكسى "بومباى" (مرسيدس موديل 1965)، وفتح الباب، جلس إلى جوار السائق، وما أن تحرك حتى سأل عبده: "ألاقى معاك مفتاح 12؟"، شعر أن السائق قرأ عينيه وأنه قرر أن "يشتغله"، أجابه بعصبية "نعم يا خويا؟"، وساد صمت، بعد قليل سأله مرة أخرى: "تعرف إيه عيب العربية دى؟"، ويبدو أنه لم يكن فى انتظار إجابة، لكن عبده أجابه "بقرف": "وأنا هااعرف منين؟"، وفجأة انحرف يمينا وبسرعة داخل محطة بنزين، وما أن توقف قال مثل الحكماء "كل شوية عاوزه بنزين"، ورش بهجة على المكان، من خلال مداعبته للعمال الثلاثة، عبده لا يعرف كيف

ستسير الأمور، قال له السائق وهو يركن أمام أحد المقاهي في "مدكور" "تعالى أعزمك على سحلب"، نزل معه مستسلماً، وقال السائق (ويدعى عبد الصمد) للجرسون "اتنين سحلب يا خويا، احنا جعانين، وشيشة قص ونار صاحية، انت شايف مش مستحملة، وطاولة علشان أقطع الأستاذ"، عبد الصمد لا يجيد اللعب، وبدأ يشتكى لعبده من الدنيا وأشقائه والتاكسى، وفجأة بكى، وأصر على دفع الحساب، هو يسكن في غرفة في أرض اللواء، ودبر في الصباح نفسه غرفة أخرى لعبده في بيت مجاور، وصارا صديقين، وانضم لعبده في رحلة البحث عن "الأستاذ"، عبده كان مسجوناً في السبعينيات، مسجوناً جنائياً، سرقة بالإكراه، هو يقول أنه مظلوم، وأن زوجته طلبت الطلاق بعد شهرين من السجن، وطلقها، وخرج بعد ثلاث سنوات ليجدها زوجة لكهربائى السيارات الذى أبلغ عنه، وأخرج ابنه كريم من المدرسة، ليصبح صبيا في ورشة "كاوتش" على المريوطية، ينام فيها أيضاً، في السجن تعرف على السياسيين "اليساريين أيامها"، وأحبوه، لأنه كان تحت أرجلهم، وكان على استعداد أن يضحى بنفسه لكى يفتدى أى واحد منهم، خصوصاً الأستاذ ممدوح، الذى يقول عنه أنه هو "اللى علمه الوطنية"، كان ممدوح هو الأمل الوحيد لعبده بنما، لأنه لاشك أصبح شيئاً كبيراً، كان يتحدث في السجن عن العمال والفلاحين المظلومين، وعن أحلامه لهم عندما تؤول السلطة له ورفاقه، خرج عبده من السجن في 1980، وسافر إلى العراق، وكانت أموره جيدة، ولم يفكر في تحويل دولارات، لأنه لا يوجد أحد في انتظاره، كان يتاجر في كل شيء، ومعروفا في حى المربعة الذى حرره المصريون

فى بغداد ليكون عاصمة لهم، ويتقى شره الأشقياء، هو يقول عن نفسه أنه ليس شريراً، لكن الحياة علمته أن يكون جافا، عاد مع العائدين بعد غزو العراق للكويت، ومعه خمسة آلاف دولار، قام بتفصيل حذاء لها لكى يعبر بها، فى يناير 1992، كان المتبقى معه ألف دولار، "دككها" فى حزامه، سأل فى المقاهى والبارات التى يجلس فيها المثقفون والسياسيون كان الرواد يتوجسون منه، ويضللونه، إلى أن عرفه أحدهم من الذين كانوا مسجونين فى أحداث 18 و19 يناير، عزمه على شاى وشيشة، ودله على المكان الذى يذهب إليه ممدوح، فى "الكاب دور" بشارع عبد الخالق ثروت، ابتداء من العاشرة مساء، وبعد ذلك فى مقهى الجمهورية القريب، والذى تستطيع أن تدخل إليه من شارع جواد حسنى من خلال ممر ضيق، ومن خلال عبد الخالق من ممر أضيق.

فرح ممدوح جداً عندما رأى عبده، ممدوح نادراً "ما يبان" الفرح عليه، قام معه بأحلى واجب، وعرفه على أصدقائه الجدد من الصحفيين والشعراء وكتاب القصص، وحكى عن نوادره فى السجن لهم وعن شهامته، وبعد أن وصلت مياه التنظيف فى الكاب دور إلى أقدامهم، ذهبا إلى السيدة زينب عند "الرفاعى" ليأكلا، وفتحا أمام بعضهما صناديق الحكايات، ممدوح يعمل فى وزارة الثقافة، ولا يعمل، يذهب آخر كل شهر ليقبض مرتبه، ولا يريد أحد منه شيئاً، لأنه شيوعى ولسانه طويل، ولا يستطيع أحد أن يكسر عينيه، فشل فى زواجه من سيدة ثرية عاش معها عاماً فى الزمالك، فشل لأنها كانت تريد

أن تصنع منه شخصاً آخر، يكتب مقالات وأبحاثاً فى الصحف العربية عن السينما والموسيقى، ويتصيد أخطاء الشيوعيين القدامى الذى تقربوا للنظام وينتقدهم بعنف، هو مثقف كبير لاشك، ولكنه يشعر بالمرارة لأنه مازال صغيراً، فى منتصف الأربعينيات يسكن فى شقة ضيقة على سطوح عمارة فى باب اللوق، تعيش فيها مستويات، ومتزوج عرفياً من هناء التى تعمل مغنية فى حانات وسط البلد والمهندسين، صوتها جميل، وتعرف متى تغنى لعبد المطلب ومتى تغنى لعبد الوهاب، ولكنها تكون فى أفضل حالاتها عندما تغنى يا لعبة الأيام لحن السنباطى وغناء وردة، ممدوح يقدرها، وهى أيضاً ومؤمنة بقضيته فى الحياة، وهو لا يشعر بالسعادة وهى أيضاً، يشعران معاً أنهما غريبان، لا يوجد بينهما كلام كثير هى تخاف عليه وهو لا يخاف على أحد، عبده كان يظن أن ممدوح أصبح شيئاً "مهماً" فى البلد، وحكى أنه شاهد صوره فى الصحف العراقية وقرأ هجومه على السادات، شعر فى بداية الأمر بخيبة أمل، ولكنه عندما انخرط فى "الليالى" شعر بسعادة حقيقية، وتأكد أن هؤلاء هم الأقرب إليه، كان من رواد "الجمهورية" كامل بك، وكيل وزارة سابق، ويسكن فى العمارة التى يسكن على سطوحها ممدوح، فى الخامسة والسبعين من العمر، من عائلة كبيرة فى الشرقية، يكره الشيوعيين، ويتحدث عن الوفد كأن الزمن توقف عند آخر حكومة للنحاس قبل الثورة، ولكنه مؤخراً أحب ممدوح، لثقافته وتقديره للأكبر سناً، ظل لسنوات طويلة يرفض أن يلعب معه طاولة، ولكنه أثناء حرب الخليج قربه منه، ابنته الكبرى صيدلانية وتمتلك صيدلية فى التوفيقية،

عانــس، تكــره ممــدوح وتعنــف والدهــا عندمــا تشــاهده مــن البلكونـة وهـو يمـشى معـه، لأنـه شـخص لا يليـق، ولأنـه يعـود كل ليلـة سـكراناً وتـزوره نسـاء شـكلهن "مـش ولا بـد"، ابنتـه الصغـرى نائلـة انتهـت مـن الماجسـتير عـن القاهـرة فى الروايـة العربيـة فى الخمسـينيات والسـتينيات، وتقـدر ممـدوح لأنهـا تعـرف تاريخـه النضـالى، شـخصية لطيفـة، بسـيطة، ذكيـة، النظـرات القليلـة التـى بينهـا وبـين سـاكن السـطوح قليلـة ولكنهـا مليئـة بالـكلام، هـو لم يبـادر بالـكلام، وهــى أيضـاً، تركـب سـيارة جولـف حمـراء موديـل 1981، يحبهـا ممـدوح، ويتوتـر عندمـا تكـون غـير مركونـة وهـو عائـد فى آخـر الليـل، كامـل بيـه أحـب عبـده بنـما بسـبب اسـمه ولا يكـف عـن مداعبتـه، وأحـب عبـد الصمـد لأن سـيارته البومبـاى تذكـره بشـبابه.

قبـل أن ينتهـى عـام 1992 كان عبـده قـد اسـتقر فى وسـط البلـد، فى شـقة دور أرضى فى معـروف، وأصبـح جـزءاً مـن نسـيج المقاهـى والحانـات وجلسـات المثقفـين والسياسـيين، أصبح وجـوده ضروريـاً فى معظـم "الليـالى"، واشـترى لـه أثنـان مـن الميسـورين "فسـبا" تيـسر حركتـه، وأصبـح مسـئولاً عـن أعـمال الكهربـاء والسـباكة والبقالـة والفحـم والثلـج ومـا إلى ذلـك فى أكـثر مـن عشريـن بيتـا فى الدائـرة، يـترك الأصدقـاء لـه الفلـوس ولا يحاسـبونه، هـو يعيـد الباقـى إذا كان هنـاك بـاق، أو يطلـب المزيـد، هـو لا يـسرق ويكتـب التفاصيـل بمـا يـرضى الله، ويعتمـد عـلى ذوق صاحـب المصلحـة فى تحديـد "دخانـة"، أكـثر المسـتفيدين منـه كان كامـل بيـه وابنتيـه، الأسـتاذ ممـدوح بـدأ فى الابتعـاد منـذ الربيـع،

بعـد أن دخـل فى أحـد مشروعـات المجتمـع المـدنى مـع رفيقـه فى النضـال أمـين والـذى لا يطيقـه أحـد، وأصبـح يقـضى معظـم وقتـه فى المكتـب بجـاردن سـيتى، حلـق شـعره، وأصبحـت أسـنانه بيضـاء بياضـاً مفاجئـاً ويلبـس ملابـس أفضـل وأغـلى، عبـده كان يسـمع كلامـا غـير مفهـوم عــن التمويــل الأجنبــى وعــن لقــاءات مــع أجانـب مشـبوهين، ولم يجـرؤ عـلى "مفاتحـة" صديقـه فى الموضـوع، ممـدوح تغـير بالفعـل، ويغيـب عـن البيـت أيامـاً، وهجـر هنـاء، وقيـل أنهـما انفصـلا، ولكنهـا تذهـب إلى شـقته تطبـخ لـه وتنظـف ملابسـه، ومـع الوقـت دخلـت حيـاة كامـل بيـه وصـارت صديقـة لنائلـة، تعلمهـا الطبـخ، وتغنـى لهـا، نائلـة تحـب فايـزة أحمـد جـداً وهنــاء تشــاركها هــذا الحــب، قــررت المغنيــة المرتبكــة أن تأخــذ كامـل بيـه معهـا المحـل الـذى تغنـى فيـه، كانـت تشـعر بزهـو وهــى تمـشى معــه فى الشــارع، ذهــب بكامــل هندامــه ووســامته، كان سـعيداً وشرب (وهـو لا يـشرب)، اقتربـت منـه "عليـة" الراقصـة الممتلئـة قليـلاً، وبـدأت فى مداعبتـه، حذرتهـا وفـاء، ولكنهـا تمـادت، وهــو تحــول إلى مراهــق، أحبهــا، وهــى قــررت أن "تشــتغله"، وتحـول الرجـل الأرسـتقراطى إلى تابـع لهـا، حـاول عبـده أن يوقـف المهزلـة وفشـل، أخـبر نائلـة وحذرهـا مـن إخبـار الدكتـورة، وعندمـا حــكى لممــدوح ضحــك كأنــه ســمع نكتــة عابــرة، تحــول الرجــل الكبــير إلى شــخص آخــر، صبــغ شــعره صبغــة غشــيمة، وأصبــح يلبــس قمصانــاً مشـجرة، ويدنـدن الأغـانى الرائجـة فى الكباريهـات، والراقصــة تســتنزفه يوميــاً دون رحمــة، يســتيقظ فى الخامســة مسـاء، ولا يريـد أن يتحـدث مـع أحـد وفقـد روح الدعابـة، وطـرد عبـد الصمـد مـن وسـط البلـد بسـبب تافـه، ويلـف مـع حبيبتـه

طوال الليل، وكانت تعرفه على الناس باعتباره خطيبها، ينظر إليه الشباب بشفقة وإعجاب، وهو لا يكف عن إثارة المشاكل إذا أبدى أحدهم إعجابه بها، وهى لا تريد شيئاً إلا أموالاً أكثر، وبأداء مبتذل، إلى أن سقط وهو يرقص فى أحد الملاهى، وتم نقله إلى المستشفى، ليلتها بكت فاتن كثيراً، وصفعت الدكتورة ممدوح على وجهه، وبكت نائلة وارتمت فى حضن ممدوح، واختفت "عليه" وبقى عبده الوحيد الذى يمكن الاعتماد عليه، خرج كامل بعد أسبوع، ولكن عاداته تغيرت، أصبح يقضى معظم وقته فى السيدة نفيسة بالجلباب الأبيض وترك لحيته البيضاء المحببة تأخذ راحتها، ولايريد الكلام، واختفى ممدوح من وسط البلد ولكنه بدأ يظهر كثيراً فى التليفزيون، يهاجم الإرهاب وصدام حسين والنظام العالمى الجديد، واستقر كريم ابن عبده معه، بعد عامين صار عبده بنما واحدا من أكبر مستوردى الولاعات الصينية فى مصر.

المسرح

أحمد كاتب مسرحى تقدر تقول معروف، وباحث أيضاً وناقد وشاعر عامية بين الحين والآخر، ويشير اسمه إلى شىء غامض كبير وأنت تتأمل المشهد من "منطقة" له مسرحية وحيدة معروفة وهى من النوع الذى يتم تحويل الوطن فيه إلى "واحدة ست" تكون بسيطة، وفى الغالب ريفية، تنتصر فى النهاية على الظلم والاستبداد، وبطلة مسرحية أحمد هذه مثلا هزمت الباشا والسرايا وهددت بريطانيا العظمى فى لحظة ما، وتعرضها كثيراً فرق الأقاليم، الأستاذ أحمد عاش فى العراق فى فترة القطيعة مع مصر. وانخرط فى العمل ضد السادات وسياساته، وعندما عاد فى ديسمبر سنة 1985 لم يستوقفه أحد فى مطار القاهرة، ولكن الإشاعات التى سبقت مجيئه كانت كثيرة، قيل مثلا: إنه عاد ليلعب دوراً لحساب السلطة، وقيل أن سبب خلافه مع زوجته اليسارية المحترمة أنها اكتشفت أن له علاقة بالأجهزة، وقيل أن صدام حسين شخصياً هو الذى أرسلة للقيام

بـدور مـا، خصومـه القدامـى "وعـلى رأسـهم توفيـق" قالـوا إنـه كان يتاجـر فى أفـلام الجنـس والعملـة فى بغـداد. وأقسـم أحدهـم أنـه وضـع صـدام فى جيبـه لأنـه كان موجـوداً عندمـا اسـتقبله صـدام ضمــن وفــد يمثـل المعارضــة اليســارية ضــد الســادات و"كامــب ديفيـد" أقنعـه أحمـد بأنـه يعرفـه منـذ أن كان فى القاهـرة ويعيـش فى الدقـى، وعندمـا ظهـرت عـلى ملامـح صـدام أنـه لا يتذكـر، قـال لـه: ومـين الـلى عزمنـى عـلى العشـاء والبـيرة وأدانى عـشرة جنيـة فى قهـوة انديانـا عندمـا عـرف اننـى مطـارد ومثقـف قومـى وظـروفى ضيقــة..، وأضــاف موجهــاً الحديــث إلى الجمهــور "الــذى صفـق بحـرارة" أيامهـا كانـت العـشرة جنيـه عـشرة جنيـه". سـاعتها ضحـك صـدام وقـال: "آه افتكـرت.. كانـت أيـام مـصر الكبـيرة"، وقـال أيضـاً لمسـاعديه "بالعاميـة المصريـة" وهـو يـترك القائمـة "أحـب أشـوف أحمــد كتــير لأن الدقــى وحشــتنى مــوت". فى بدايــة عودتــه كان حريصـاً عـلى هندامـه وحذائـه "الملمـع"، دائمـاً يجلـس فى مقهـى ريـش بمفـرده، يتصفـح الجرائـد والمجـلات ويسـلم عـلى "الجماهـير" باعتبـاره نجـما، قيـل إنـه موعـود بمنصـب كبـير فى وزارة الثقافـة، كان قـد تـرك شـقته و يتنقـل بـين عـدد من "البانسـيونات" فى وسـط البلــد. ولا أحــد يعــرف مــن أيــن يــصرف وكيــف يعيــش. كانــت القاهــرة قــد ولــدت نوعــاً آخــر مــن الصعاليــك الجــدد. شــعراء ورســامين وممثلــين ومخرجــين، فرضــوا إيقاعــاً مختلفــاً.. تســتغرب -إذا كنـت تعرفـه جيـداً - الهالـة التـى أطلقهـا النـاس حولـه رغـم أن الجميـع يعـرف نذالاتـه الصغـيرة وتحالفاتـه واسـتعداده ليبيـع أى شـخص مادامـت هنـاك مصلحـة، ومـع هـذا تحبـه وتغفـر لـه وتسـامحه. عندمـا غـزت العـراق الكويـت تحـول إلى شـخص آخـر،

وقيل إنه أصبح كويتياً، هاجم صدام والعراق وطالب بالتدخل الأمريكى الفورى، وصار مفكراً تحتفل به الصحف الخليجية والتليفزيون، حماسه الفطرى يجعله يتحدث بعصبية عن أى شىء. وقف مع وزير الثقافة فى كل معاركه ضد المثقفين، وقف ضد كل حركات التغيير وسخر منها، ومؤخراً اكتشف أن المستقبل مع الذين يهاجمون يوليو واليسار الوطنى ويدافعون عن الخصخصة وأصبح بوقاً لأكثر من رجل أعمال.

حسام نوح قاطعه وهو يتحدث فى ندوة عن مستقبل الثقافة فى مصر فى شتاء 2002، و"استسمح" الجمهور لكى يحكى لهم عن الليلة التى تعرف فيها على الأستاذ أحمد، وهى الليلة الباردة التى ذهب فيها إلى توفيق المليجى ليقرأ له بعضا من أعماله الجديدة، فى شتاء 1986، وكانت أغراض الأستاذ (الجالس أمامكم) عنده، كان سكرانا، السكر الذى يدعو الى الشفقة، وما أن فتح له توفيق الباب وعرف أنه هو، أغلق الباب فى وجهه، ورمى حقائبه غير المغلقة من الشباك، كان الجو ممطراً وباردا مثل هذه الأيام، نزلت معه - قال حسام - ووضعت الأغراض المتناثرة فى مكانها، وأخذته معى فى شقة الفنان سامى البلشى التى تركها لى فى عزبة فكيهة، وذهب لتأدية الخدمة العسكرية.. وكان أحمد على المنصة يدون بعض الملاحظات.. كأن الأمر لا يعنيه.

نبذة عن الكاتب

إبراهيم داود

ولـد في 15 سـبتمبر 1961 بمحافظـة المنوفيـة. صـدر لـه فى الشـعر: تفاصيـل ط 1 (النديـم) 1988 - ط2 (هيئـة قصـور الثقافـة) 1995 - ط3 (مكتبـة الأسرة) 2005

مطـر خفيـف فى الخـارج (شرقيـات) 1992 - الشـتاء القـادم (هيئـة الكتـاب) 1996 - لا أحـد هنـا (المجلـس الأعـلى للثقافـة) 1998 - يبـدو أننـى جئـت متأخـرا (مختـارات ـ ميريـت) 1999 - انفجـارات اضافيـة (ميريـت) 2000 - حالـة مـشى (ميريـت) 2009.

سـت محـاولات (ويضـم الدواويـن السـتة) ط1 2010 - ط2 2013 (الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب)

أنـت فى القاهـرة (ميريـت) 2015 - كـن شـجاعا هـذه المـرة (ميريـت) 2019

وصدر له في السرد: القرآن في مصر 1999 - خارج الكتابة (ميريت) 2002 - الجو العام (ميريت) 2012 - طبعا أحباب (هيئة قصور الثقافة) 2019.

حاز على: جائزة ساويرس عن كتاب الجو العام 2013 - جائزة أفضل ديوان شعر عن "أنت في القاهرة" في معرض القاهرة الدولي للكتاب 2015.

الفهرس

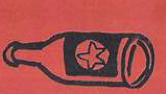
أحيينا مؤخرًا كتاب «الجو العام» لصديقنا الشاعر إبراهيم داود. الذى كنا عرفناه مع ديوانه الأول «تفاصيل» أواخر الثمانينيات، والذى أُستقبل بحفاوة، باعتباره تعبيرًا عن موهبة بينة ومتميزة. لم نكن نتصور، أيامها، أنه خُلق لكى يكون شاعرًا جوالاً يقترب أكثر من نثر الحياة اليومية متنقلاً ما بين شوارع المدينة وأرصفة مقاهيها وباراتها ومطاعمها ومكتباتها وبيوت قريبة وقصِية وحجرات شبه معتمة عامرة بأصدقاء الليل من شعراء وكتاب قصة ومسرح ومترجمين ورسامين ومطربين ومواطنين عاديين، وآخرين من أصحاب المعاش المبكر وكتاب سيناريو ونحاتين وعازفين، وخلائق مفعمة بالأحلام والأحزان وبعض من ميسورى الحال، وآخرين يحادثون أنفسهم فى الطريق، وحكاك الألماس المصرى الذى يحوله السُكر إلى سعودى، وآخرين، وهو يصوغ من ذلك كله قصصًا موجزة تعتمد الحقائق التى يخامرها الخيال. هى ليست اختصارًا لحيوات كاملة، لكنها شرائح من حياة كافية للدلالة على أناس قريبين من القلب.

إبراهيم أصلان

قد تكون تلك القصص، بشاعرية «اللغة الخام»، هي واحدة من أعذب المرثيات لحقبة تاريخية ثقافية امتدت منذ السبعينات وحتى لحظة اندلاع الثورة في مصر، وما كانت باهرة لولا ان كاتبها أمعن في إضفاء التعاطف والحنان والحب العميق والشعرية المكتومة في نسغ النثر البسيط والتلقائي والمقتضب، كأن ابراهيم داود يودع قاهرة آفلة، قبل استقبال قاهرة جديدة. يودع رعيلاً كاملاً، ناظرًا بحسرة إلى زمن جديد غريب ومجهول.

يوسف بزى





تصميم الغلاف: مخلوف/ ميجو

